حبة تراب

سها المنياوي

حبة تراب

سها المنياوي

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

تدقيق لغوي :

محمد أبوعوف

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٠٥٥

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٣٣- ٣

حبة تراب

سها المنياوي

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى رفقاء تبيع دماغك الأعزاء

فاطمة عبد الله – مروة منير

أيمن خيري – محمد صلاح

مقدمة

وجدت نفسي ضئيلة ، خفيفة لا أرى أحيانًا بالعين المجردة ولكن عالمي كبيرمتصل بعوالم أخرى حباني الله بنعمة مشاهدتها من بعيد لتتكون لدي الحكم و المواعظ و العبر.

أنا حبة تراب .

كلما تطلعت أكثر أقول لنفسي لو م أكن حبة تراب لوددت أن أكون حبة تراب أيضًا،فلا،لا أريد أن أعيش حيرة بني آدم وشقاءهم ولا أريد عقولهم ولا أريد حتى قلوبهم لا أريد إرادالهم الحرة ولا أحسدهم على ما وهبهم الله لهم .

فأنا ياسادة–وبكل تواضع–أفضل من كل هؤلاء المخلوقات الشقية منذ خطيئة جدهم الأولى . أنا أعيش أفضل حالاً ، لا يستغنى عني الإنسان رغم أنه بفطرته يحب إزالتي وزملائي حبات التراب لكنه لا يقوى على الابتعاد عني .

أنا كينونته وتكوينه ، أفهمه أكثر من نفسه فأرى مابداخله أكثر مما ترى بصيرته الشقية أحيانًا.

أنسحب لتظهر مواهبه المكنونة وكنوزه المدفونة . أطير لأحمل له ما أحمل . ألاحظه وأراقبه وأعيش معه شقاءه وفرحته الساذجة ،بكاءه وضحكاته .أكاد أنطق لأحذره فلا يسمعني،

أنسحب أحيانًا من فوق أسطح ذكرياته الأليمة و المفرحة و الشجية . أنسحب لتظهر مشاعره الحقيقية التي دائمًا يخفيها الإنسان مكابرًا بل و يستخدمني ليواريها ومع ذلك ، لا يزل يتأفف عندما أقترب منه ، فأنا طوع أمره ، سخرني الله ملك يديه.

يدهسني و يحفظني ويزيلني ويضعني ويعتز بي ويسخر مني وينفخني ويتنفسني يرطبني ويجففني وأحيانًا يتوضأ بي ، يجلس معي وبعيدًا عني ، يمرض بي ويصنع مني سعادته وشقاءه واحتياجاته ثم يستغني عني ثم يعود إلي فأعود إليه ..

أنا منه وإليه خلق مني ثم يموت فأواريه حتى يأذن الله بأمر آخر....

-١-

أهلا بكم في مغامراتي ، أنا حبة التراب ..

اليوم سأمتطي الرياح التي طالما تسوقني نحو مغامرة جديدة وهي التي أستقي منها الحكمة التي أجدها كثيرًا في عالم البشر وأتعجب من أن قليلاً منهم من يراها جلية والغالبية يساقون إلى حياتهم وشؤنها دون حكمة في أغلب الاحيان ....

فهذا الذي استقريت على كتفه، شابًا جميل الخِلقة و الخلق. حباه الله بمقومات الإنسان السليم ، تقي ، مثقف ، متعلم ، ولكن....

لا أدري مالذي ألم به؟صار متقوقعًا على ذاته. لا رأي له، لا يهتم بأي شيء، بواطن الاشياء وطعم الحياة وجمالها وقيمها،كآلة تؤدي عملها في صمت وعضو صامت في المجتمع.

أرى روحه قد اجتثت ، وشابتها الكهولة المبكرة ، ضاع منه حماس الشباب والأمل في أن غدًا سيكون أفضل وأن الخير سينتصر. يعمل ليجلب المال ويخطو في كل خطوة تنتهي بمكاسب مادية. عندما يحدثه أحد عن الإصلاح ، يلوح بوجهه بعيدًا وتمتلىء عيناه بشجن ليتحدث عن لقمة العيش وجملا من قبيل " ياعم خلينا ناكل عيش "، " خلينا في حالنا "و" احنا مالنا ".

أراه في عمله يعمل ويتملق رؤساءه حتى الذين لا يحترمهم في أعماقه ، يوافق على كل مايملي عليه ، يرضي بكل شيء حتى إذا كان على حساب آلام الناس واستعبادهم.لا يستجيب إلى مطالب زملائه بالوحدة وتوحيد الصفوف من أجل المطالبة بالحقوق المهدرة غالبًا، يخاف أن يشكو أو يعبر عن ضيقه باستعباد رب العمل فيلتزم الصمت ،فيظن رؤساؤه به اليد اليمنى أو بالأحرى اليد الباطشة.

لم يكن قد وصل إلى بعد مرحلة تملق رؤساءه ولا القول بما ينافي مالايشعره ولكنه مع الوقت وجد المفتاح إلى عقول وقلوب رؤسائه ألا وهو "إعطاء التماااااام"....أي الموافقة بجملة "تمام يا فندم "...

إحباطاته خلقت منه إنسانًا وصوليًا يبغى الطريق الأسهل بعيدًا عن المعادلات الصعبة.

أراه وهو يستهزأ بمجهودات زملائه وهو عائدًا من عمله . سمعت زميله يسأله عن سر التغيير،و مالذي ألم به بعد أن كان يملأه الحماس والأمل في التغيير إلى الأفضل ...

لم يجب لأن تلك الخبرات التي تتراكم في عقول البشر دون وعي منهم وقد تغير منهم ومن تصرفاتهم ومؤثرًا على مخاوفهم ،منهم من يقاوم ومنهم لا...

ياربي!!! مالذي أمات فيه الروح؟

ما الذي اقتلع روحه ؟ ترى هل في دنيا البشر من يحاكم ويعاقب على تلك التهمة؟؟؟

أم تنصب المحاكم للجرائم المادية فقط ...

أنا هنا –حبة التراب– أطالب بتوقيع أقسى عقوبة ممكنة لمن قتلوا روح رفيقي بطل مغامرة اليوم...

—٢—

أنا اليوم فى مكان مقدّس أشعر فيه بأمان غريب أعرف سببه الروحاني ولا أعرف سببه المادي

استقريت على المصحف الشريف.. رغم أن هذا يسعدني ويسعد زملائي من حبات التراب ونحن لنا شرف المكوث عليه

غير أننا حزانى و غير راضين.. يراودنا شعور بغضب الرب و الملائكة

لماذا يتركون أصحاب هذا المصحف مالديهم؟؟؟

اغلى ما تركه الله ودفع ثمنه الكثير و الكثير من الشخصيات المقدسة على رأسهم النبي الكريم

نعم أعرف النبي الكريم بالطبع كم تمنيت أن أقف على جسده الكريم ولكن سبقتني إليه حبة أخرى محظوظة.

اااااااه !! أحيانًا لا يدخل الحظ باب حياتي أنا أيضًا يا بني البشر.!

نعم مثلكم...

أتعجب لأن القرآن كتابًا ليس لتركه بركة تشع فى المكان وإنما للاستفادة منه ومن محتواه

ففيه حل لكل مشكلاتكم لو كنتم تعلمون.

تري هل تركه أهله لأنهم يعملون بروحه دائمًا ليل نهار؟

يقضون نهارهم يعملون بجد وضمير و فى نيتهم وجه الله وحده طاردين أي شعور بالغل أو الحقد أو القسوة البشرية التي تعتريهم بواسطة ذكر الله ، ويبيتون ليلهم فرحين بما أنجزوا طوال نهارهم لأمتهم ولبلدهم ولأنفسهم بالطبع طبقًا لروح القرآن الكريم.؟ ثم يقبلونه وينامون قريري العين ؟؟؟؟

هل يحدث كل هذا ؟ لا، لو كانوا يقبلونه لما جئت عليه أنا وزميلاتي من حبات التراب الكثيرات...

كيف يتعاملون معه ؟ أرى منهم من يذكر اسمه فقط دون أن يعمل بروحه

أرى من يحلف به كثيرًا كذبا!!!!!!!!!.... !!!!!!!!ه!!! يالا قسوة البشر...هنا أرى ملائكة شدادًا كائنات نورية قابعين عليه مسخرين ليست لهم إرادة إلا خدمته ومن لهم الإرادة و القوة يهجروه؟!!!!

أرى من الآدميون من يريد أن يتخذ من القرآن مآرب اخرى.

يريد أن يجعل من نفسه إمامًا ،يرى أن يوصله القرآن لسلطات أقوى ونفوذ ومرجعية أعلى لن تتحقق إذا اتسم

بروحه وعمل بها حقًا...

وللأسف وبئس ما أرى...

أري آدميين يمسكونه و يقبلونه وهم يسفكون دماء الناس تحت مسميات وادعاءات لم يذكرها لهم القرآن العظيم.

ياإلهي!!أكاد أقفز على من تُسفَك دماءهم باسم القرآن وملته وعقيدته عطفًا أعتذر لله وللملائكة القرآن وهي تتألم لما يرتكبه البشر وقد تحققت نبؤتهم قديمًا " هل تخلق فيها من يسفك الدماء ... "الله أعلم بالبشر أستغفرك ربي ليس بعد علمك علم...

أرى من محبي القرآن من يرفضون الاجتهاد فى كلماته و يتبعون ما قد أسلف فقط دون انطلاقة أخرى يخافون الاجتهاد ويخافون شبهة التجديد ويسمونها بدعة ، ولهم عذرهم ولكن هل هذا عذرًا يجعل من أمة الإسلام تضحك من جهلها الأمم الأخرى؟

أرى بشرًا ينتهكونه و يهينونه فأحزن،ولكن ليس كثيرًا لأنهم لا يدينون به ما يحزنني أن أصحابه يدافعون بهشاشة وضعف ليس بتنظيم وتخطيط من أجل مجده ورفعة اسمه.

هل عذر أهل الكتاب الكريم أن من يحكمونهم يكبتونهم ؟ أهذا قدرهم الذين رضوا به ياربي ؟ هل أنت راضٍ أنهم راضين

بقضائك أم أن هذا ليس قضاؤك وإنما من أعمالهم سلطت عليهم ؟؟؟؟

ااااااااااه **الأفكار** لن تتركني

سأترك كل هذا وأنام قريرة العين في مكاني اليوم

ياليت البشر يشعرون بما أشعر!!!

-٣-

أرحب بكم أنا حبة التراب...

اليوم استقريت على جناح مخلوقات غير آدمية ، ربما يوحي هذا التعبير في لغة البشر بالقسوة رغم أهم هم القساة ولكن لا يدرون..

استقريت على جناح طير،ربما يريد ربي أن أعرف الفارق بين حياة البشر وشقاءهم وحياة الطير السابحات في الكون بأمره..

عند ظهور الخيط الابيض من اليوم تصحو الطيور نشيطة دون منبه أو خطة في رأسها الصغير بل فطرها خالقها على السعي للرزق طوال النهار بجد وسيرزقها هو بقدرته.

سبحانك ربي!!وجدت رفيقتي تطلق صوتًا يبدو وكأنها تنادي جاراتها من العصافير في العشش المجاورة كأنهم يوقظون بعضهم البعض لينشدوا صلواتهم جميعًا معا كفرقة موسيقية كاملة..

تظل رفيقة اليوم تطير بدأب لتلتقط رزقًا من هنا ورزقًا من هناك ، حبة من هنا وحبة من هناك أحيانًا تقف عند كل نافذة أو حافة انتظارًا للرزق فتشاهد أحوال البشر: بشرا كسالى لا يزالون نائمون ، بشرًا يعلمون بجد وصمت ، بشرًا يتلقون العلم

بعضهم يتلقاه بترحاب وبعضهم سارحًا ينظر إلى حافة النافذة التي تقف عليها رفيقة مغامرة اليوم ، بعضهم يصلون ويسبحون باسم الله يطلبون الرزق ولا يسعون إليه...أكاد أسمع رفيقتي وهي تتعجب مندهشة " أيظن البشر أنهم أبناء الله المدللون؟!"

رفيقتي تذهب من آن لآخر إلى عشها لتطعم أطفالها الجوعى وهكذا وليفها يفعل ، يتشاركان ليجلبا رزقهما من سماء الله وليس لسعيهما سقفا غير السماء العلا...

التحليق عاليًا فوق مستوي البشر يختلف تمامًا، أتمسك بجناح رفيقتي التي لا تدري بوجودي ككل رفقاء مغامراتي،فأجد الفارق رهيبًا . فالحياة فوق هادئة يغلب عليها السلام النفسي ربما لأننا بالقرب من السماء وكلما انخفضت رفيقتي بي إلى أسفل كلما أجد رياح الغدر والتعاسة وجلبة البشر و أشعر بقسوة حياتهم ، لا أعلم هل أراد ربهم بهم خيرًا أم هم أرادوا لأنفسهم شرًا ؟؟؟

رأيت بشرًا يسكنون أبراجًا عالية تقرب إلى السماء رغم أن ساكنيها غير قريبين من الله،يسكنون عاليًا ويرسلون "عصافيرهم " إلى أسفل ليطمئنوا أنهم سيظلون في علوهم...

تكره رفيقتي هذا اللقب... فعصافير البشر غير العصافير المسبحة القريبة من ربها ، التجسس صفة اخترعها البشر ومهمة البشر العصفور التنقل بين البشر لنقل الأخبار لكن ،

العصفورة من الطير لا تقف عند نوافذ البشر لنقل الأخبار... التشبيه يفزعها كثيرًا رفيقتي ...

لا تفزعي رفيقتي ...فأنتِ في الأعلى وهم في الأسفل ...

انتهى النهار وقاربت الشمس على الغروب وهي لا تزال تسعى تتقابل أحيانًا مع وليفها ليتحادثا بلغة لا أعرفها بالطبع، ثم يظلان يتناوبان للذهاب لعشهما لتفقد الأطفال حتى يحدث حدثًا غريبًا عجبت له أشد العجب...

تتقابل جميع العصافير المتجاورة في الأشجار المتجاورة دون اتفاق مكتوب أو منطوق لينهوا يومهم جميعا بأنشودة عذبة ، يغرد الجميع في صوت واحد خاشع جميل وكأنهم يسبحون لخالقهم ويشكرونه على رزق يومهم ثم يتحركون كالسرب في حركات استعراضية ، كدت أطير في حركة منهم ولكنني تمسكت بريش رفيقتي بشدة حتى أحضر هذه الصلاة المباركة..

يجرون يمينًا وشمالاً وفي كل اتجاه مع بعضهم البعض في نظام فطري بديع ،دون إشراف من أحد ودون تدريب ....

- ما هذا الصوت العالي ؟!!!

ما هذا ياربي !!!! وقعت إحداهن ،فتفرق السرب خوفًا وذعرًا وطار كله إلى عشه...

ربما اصطادها أحد البشر ....

آآآآه من غدر البشر !!!!

سقطت من أعلى إلى الأسفل حيث الحياة وصعدت روحها إلى أعلى..

هل يسر البشر أن تسفك دماء كائن مثله بل والله أكاد أجزم بأنه قد مات شهيدًا أحد البشر بعد أن سعى إلى رزقه وعاد مسرورًا إلى عشه حيث أسرته الصغيرة....

تبًا لكم أيها البشر!!!!

-٤-

أهلا بكم أحبائي و قرائي لا زلتم معي أنا حبة التراب المتواضعة التي أتاح لها القدر التعرف على عالمي البشر و سائر المخلوقات لأري و أتعلم و أراقب و تزيدني حكمة لكن لا ألبث أن أعود إلى التراب مع أقراني و حيث عالمي الذي أحبه....

اليوم أنا فى مغامرة جديده مع أحد بني البشر لنرى قصته

استقريت على إحدي كتفيه شعرت به يتألم و يندم و يشعر بالعجز الشديد لا يكاد يرى و لا يقدر كبين البشر الذين يتميزون بالإرادة و خصهم بها الله سبحانه وتعالى بها دون سائر المخلوقات لكنني وجدت الإرادة لدى رفيقي هذا ضعيفة ، واهنة لا تكاد تحمله.

رأيت الإرادة الإنسانية رغم أن الله وهبها للإنسان غير أنه لا يستطيع استخدامها أو لايحسن استخدامها في كثير من الأحيان.. لقد كان هذا الآدمي فى علاقة حب مع أنثى من بني البشر مثله تكن له كل الحب و تعطيه مشاعرًا أكثر مما يعطيها وأكثر مما يستحق

بينما كان هو يحاول أن يسد بها فراغًا عاطفيًا يشعر به ...

فقد لاحظت أن البشر يحتاجون دائمًا فى حياتهم لشريكًا عاطفيًا مزيفًا كان أو حقيقيًا لا يهم....

المهم هو أن يكون هناك شخصًا ما ..كان هو كل حياتها ومحورها وتدور هي في فلكه، وكانت هي مجرد عنصر في حياته لا يشعر هو بجدية مشاعره ولكن لم يتخذ أي إجراءا إزاء ذلك ، لم يكن أمينًا مع نفسه ولا معها .

كانت تشعر بذلك ولكن قوة عاطفتها تحول دون التصرف إزاء ذلك فظلا الاثنان عاجزين على اتخاذ قرار إيجابي أرأيتم ؟ إنها الإرادة الإنسانية المنعدمة

كل منهما لا يستخدمان إرادتهما حتى لمساعدة أنفسهما...

بعد أن كان الاقتران شبه مؤكد ممن تحبه وتهواه بكل جوارحها -رغم تحذيرات من حولها أنه لا يحبها كما تحبه وأنه غير جدير بها- تركها هكذا دون أية إحساس...

كان يختلق الأسباب ليتركها وكلما سارع بالإفلات كلما تمسكت أكثر و تشبثت أكثر مما أعطاه نشوة لا تضاهي وأغراه التدليل والاهتمام...

غريب أمر البشر يدهشونني دائمًا بالزهد بما في أيديهم و الطمع فيما لا يملكون.

وأخيرًا وكأن الله أراد ان يرحمها دون أن تدري هي فيما

هو خير لها أم شر...

تركها بلا رجعة رغم انهيارها.

و دائمًا تأتي عدالة السماء لتتدخل فقد وقع في هوى أخري ولكنه غرامًا مختلفًا

تبدو فيه الزمام و اليد العليا للطرف الآخر ...

من يشتاق و يغار و يشعر بكل مشاعر اللهفة و الحب و اللوعة ....هو

أما هي فقد كان حبها إعجابًا ربما.... استلطافًا ربما... لا أعلم.

كانت هي خارجة لتوها من تجربة عاطفية حكم عليها بالفشل،

انجذب هو نحوها بشدة و تدريجيا تعلق بها.

كان يريد أن يخرجها من أزمتها وشيئًا فشيئًا دخل هو شرك الحب و لم يعرف كيف يعود.

عاش لها ...كل ثانية هي انتظار لآية لفتة أو إيماءة توضح مشاعرها نحوه ... كان يريد أن يعرف هل تشعر بما يشعر به هو نحوها هل تحمل له ما يحمله لها ؟

لم يعرف و لم تقل له و لم يصر ..خشى أن يصدم و آثر البقاء بجانبها دون أي أمل

عاش تجربة تلك الأخرى التي تركها بكل دقة .... عاش مخاوفها .

مخاوف أن تتركه من يحبها إذا أصر على أن تكون علاقتهما واضحة هل هي حب أم ماذا ؟

وما مستقبل تلك المشاعر التي يحملها؟

فكيف يجعلها تختار بين أن يكون حبيبها أو ينسحب من حياتها وهو لا يقوى على الخيار الثاني...

اليوم رأيته يبكي مرة عندما تذكر من تركها .

لقد شعر ما فعله وأحسه جيدًا.

و لايزال سجينا لحبه و لمشاعره و لا تقوى إرادته على مساعدته.

هل الحب يشقي البشر أم عجزهم عن استخدام إرادتهم ؟
هل الحب و الألفة أقوى من إرادة الإنسان

مسكين رفيق اليوم !!!! لو استطيع أن أتحدث معه لو يستطيع أن يفهمني

يا إنسان ما أشقاك

لا أدري أأشفق عليه أم أدينه ؟؟؟

لا أدري.....

-٥-

وقعت اليوم على ظهر أحد الحيوانات ...يستخدم اسمه بني آدم في وصف بعضهم البعض عند الغضب أو ربما للسباب .

خلقه الله كحيوان يحمل ما يريد الإنسان حمله وربما ليتحمل أيضًا حماقات الإنسان و همومه و البلاء الذي يلقيه على عاتق سائر المخلوقات .

هاهو يصحو ليبدأ يومه مع صديقه وربه الذي أبعد ما يكون عن سائر البشر الذين أراهم يوميًا أو أصاحبهم في مغامراتي الشيقة : إنسان قذر المنظر ، سيء الطباع يسب كل ما حوله وكل من حوله ، إما بسبب الغضب أو بسبب الحقد الذي يكنه في صدره وإما بسبب المزاح فيسب البشر و أمهاتهم وآبائهم ضاحكًا ظافرًا كالذي ينشد شعرًا أو يقول دررًا.. سبحان الله وله في خلقه شؤون !!

يمتطي هذا " الإنسان " حماره ليجمع قمامات أقرانه من بني البشر ويظل يجمع قمامات وأوراق كرتونية و لفافات وله منها نصيبًا على لسانه حتى يكاد صديقي الحمار أن يسير بصعوبة بالغة.

على الرغم أني أعلم يقينًا أن للبشر أحاسيسًا و مشاعرً تميزهم عن سائر المخلوقات غير أن هذا المسمى بالإنسان يحمل

صديقي الحمار الحمول الصبور فوق طاقة أي حمار أو حتى فيل .يظل "الآدمي" يلف به ليل نهار دون أن يفكر أن يطعمه أو يسقيه رغم أن هذا البشري قد أكل ما يزيد عن ثلاث وجبات كاملة قبل أن ينتصف النهار وقد اشتكت أمعاؤه من معاملته لها وتكاد أعضائه تخرج محتجة من ملابسه الرثة البالية السيئة الرائحة حتى أن حماره قد تحمل ما يكفيه من رائحة صاحبه بالاضافة إلى ما يحمله من قمامات البشر وفوق كل هذا أنه يحمل هذا البشري القذر اليدين...

آآآآه!!! لو أنطق الله صديقي الحمار ولو للحظة لفزع هذا الآدمي من هول ما سيقوله الحمار.

الغريب أن هذا القذر الذي يحمله صديقي الحمار لديه من الاموال ما يكفي لغسل المدينة بأكملها و جعلها نظيفة براقه وذات رائحة عطرة ...عجبًا على بني البشر .....

هاهو يعود سائق الحمار إلى حيث يستقر يوميًا ...منزلا عشوائيًا مصنوع من الصفيح لا يرضي أن يسكن به حماره يأكل اللحم ثم ينام تاركًا الحمار واقفًا وحاملاً حموله الثقيلة وقد أوشك اليوم على الانتهاء ، وقت الغروب حيث تسبح مخلوقات الله جميعا الله الواحد الخالق وقلة من البشر ...

ياإلهي !!!ماذا يحدث لماذا ينتفض صديقي الحمار هكذا.. ماذا يحدث ؟؟؟إنه ينتفض وكأنه رأى شيئًا غامضًا لا أراه

ترتعش أطرافه و يطلق نهيقًا طويلاً ترى هل رأى جنيًا أم شيطانًا ؟؟ أكاد أشعر به يتمنى لو نطق لينبه صاحبه الآدمي القذر أن هناك شيئًا ممكن أن يؤذيه ، يا صديقي الطيب القلب؟ أتخاف على صديقك؟إنه يسيىء إليك يا صديقي اترك الشيطان يؤذيه علّه يتعظ ...

حماري الطيب يطلق نهيقه حتى ينبه البشر أن هناك مخلوقات تسير إلى جانبكم لو انكشف بصركم لملئتم منها رعبًا ولقل غروركم و فخركم بأنفسكم و كأن الكون ملك لكم...

اهدأ يا صديقي!! لقد استيقظ هذا الوحش الآدمي ليسب الحمار لأنه أيقظه بنهيقه ثم عاد يدخن السيجارة الغريبة الشكل ويركب صديقي ضاربًا إياه بالكرباج كلما خطى خطوتين وصديقي فى سره يكاد ينطق " والله العظيم إنتَ إللي حمار ... "

ترى لماذا يحرق الآدميون نبات التبغ ثم يدخلون دخانه فى صدورهم؟ أو لم يكتفوا بالأدخنة التي ملأوا بها بيئتهم وأجوائهم يضرون بها أنفسهم وغيرهم...

ياللبشر إنهم محور الشر فى هذا الكوكب...

"لعنك الله يا قذر "لا تضرب صديقي!!! ... انه يحتملك يوميًا دون أن ينطق "أتتخيل أن هذا الكرباج يحميك منه ؟

كلا، إنه لو قام فى ثورته سيدهسك ويهشمك تهشيمًا عظيمًا... لماذا يتخيل البشر أنهم أقوى المخلوقات ؟!!!!

آآآه لو أستطيع أن أنفذ إلى عيني هذا الوحش الادمي حتى يتوقف عن ضرب صديقي .

نعم سأطير...يارب سخر لي الرياح أسير و أستقر فى عينيه..

ههههههههههههههههههههههههه

إنه الثأر يا صديقي الحمار ....

لا تحزن.

لقد نجحت !!!!! نعم ساستقر فى عينيه هاهي تزداد احمرارًا وهاهو يفركها بلا جدوى لا لا لن أتركك سأتشبث بك

هههههههههههههههههههههههههههههههه

-٦-

المكان هنا موحش ، هدوء وسكون قاتل غير مطمئن ، حد فاصل بين مكانين .

جوار ليس طيب فالمكانان يتجاوران وسكانهما يتجاوران لكن ليس بينهما مودة الجيرة المعروفة لدى البشر.

ويبدو أن السكان غير متحابين ولكن من يحكموهما غير ذلك وهنا أجد ملاحظة غريبة جدا في عالم البشر يصعب علي أنا حبة التراب استيعابها وهي أن هناك دائما فجوة بين ما يريده الحاكم و ما يختاره الشعب حتى في أكثر الدول الديموقراطية..

صحراء جرداء موحشة وأشعر بالغربة بين حبات الرمل فالتراب يكاد يختفي ولا أجد الا أقلية هنا تعيش مهمشة نوعًا ما ...

لا آثار لحياة بشرية مدنية غير على بعد عدة كيلومترات يعيش بعض البشر في الجانبين حياة بدائية بسيطة جدًا..

لا يوجد هنا سوى عسكر من الجانبين. لا يبدو بينهم سوى الود الحذر. فالبشر لا يختارون جيرانهم ولا حتى الدول..

أقف على بوابة حديدة ضخمة تفصل بين حدين . اختار البشر هذا الحد ورسموه إما قهرًا أو بعد حربًا طويلة أو قصيرة

فالحدود غالبًا -في عالم البشر- تتخذ بعد حروب وصراعات..

ولا أفهم حتى الآن لماذا يقسم البشر حياتهم ويصنفون على أساس حدود جغرافية من صنعهم فكلما تحضر البشر ووصل إلى ما وصلوا إليه من مدنية وتطور كلما ازدادوا انغلاقًا وانتماءً لمكان أصغر وجماعة أصغر لينتمي إليها ويقسم ويصنف أخوته البشر على أساسها...

حكت لي إحدى قريباتي من حبات التراب العتيقات أن في الماضي كانت الحدود بين الأماكن متباعدة وقليلة وكثرت مع تقدم الزمن رغم أن إنسان الحاضر يصف جده بأنه أقل تحضرًا وأكثر بدائية وبساطة ، يبدو أيضًا أنه كلما تقدم الإنسان في الحياة كلما قل شعوره بالأمان وقلت معه الجسارة و الشجاعة وازداد تمسكًا بمظاهر الحياة الصناعية...

حديد البوابة التي أقف عليها يكاد ينطق ويلين ليبوح لي بمكنونه وهمومه التي يراها مع البشر وقسوتهم رغم أن من البشر قساة قلوب ذوو قلوب حديدية ، لكن الحديد هنا على المعبر والحد الفاصل بين دولتين يكاد يبكي و قلوب البشر لا تلين....

ينطق الحديد بأن البشر قد يقتل بعضهم البعض ويسفكون دماء الكثير لمجرد عدم شعورهم بالأمان أو أن هناك خطرًا ما قادمًا من جماعة ما.

آثار الدمار تبدو مؤسفة على النصف الآخر من الحد الذي أقف عليه وكأن عدة جيوش قد أرادت إبادة الشعب الذي يعيش هنا ولكن يأبى الله إلا أن يتم كلمته. هنا في حدودي تبوح لي حبة رمل (والتي لا أفقه لغتها كما ينبغي) بتناثر دماء بريئة واستغلها البعض في الترويج لسياسته....

آآآه من الحروب إنها أسوأ ما يوصم به البشر رغم أنها الوسيلة الوحيدة لاستعادة سيادة وكرامة البشر ، فالبشر على قدر ما يحملونه من حب وعاطفة فهم لا يخضعون إلا بالقوة وخصوصًا في علم السياسة و الحكم .

الرمال هنا لا تزال مخضبة بدماء ضحايا الحرب التي كانت دائرة أكاد أسمع أنين الضحايا في الحد المدمر .

أما في الحد الآخر فهناك هدوء حذر لا يوجد دمار و الحياة مستقرة رغم بعض المناوشات من الطرف الآخر لكنني سمعت أن هذا الاستقرار في حدودي هذه-كان ثمنًا ونتيجة لحرب دارت في الماضي و أنهاها الحاكم القديم بتسوية وسلامًا حذرًا يقف على حافة الخطر دائمًا وهناك دائمًا نارًا و التهابًا تحت مائدة التسويات ربما لأن الطرف الآخر هو أصلاً مستعمر أجبر الجميع على الاعتراف به كجار وليس كمحتل أو مستعمر وحتى لا يراعي حدود الغير

ياإلهي!!أكاد أسمع مشاجرة وأصوات أنين من رمال هذا الجانب و الآخر . فالحد الفاصل بين الحياة والموت يفصل بين رمال تحمل دماء لضحايا عديدة و الجانب الآخر يوجد ضحية من العسكر راح شهيدًا لأوامر رؤسائه أن يمنع دخول بشرًا من الجانب الآخر الملتهب ...ففي التمسك بالحياة قد يقتل البشر بعضهم البعض .

لا أدري حقيقة الأمر فعلا فالبشر قد يؤثرون المصلحة والأمن على الرحمة.

تلك البوابة الحديدة أغلقت أو تأجل فتحها أثناء الحرب التي كانت دائرة في وجه بعض من الجرحى وطالبي الدواء والاستشفاء بسبب خلافات بين أنظمة داخلية من جهة وأنظمة خارجية من جهة أخرى.

بعض الجرحى هنا ماتوا نزيفًا أمام تلك البوابة لأنهم انتظروا تصريحًا بالدخول أو بالأحرى تصريحًا بالحصول على الرحمة و البعض تمت معالجته .

سمعت من حبات الرمال هناك أن الحد المدمر يحتله شرزمة من البشر تدعي أن الارض ملكها و تاريخها يدعي ذلك وكتبها أيضًا تدعي ذلك وبفعل مصالح مع دول كبرى كسل وإهمال من دول جارة أخرى توطد الاحتلال وثبت بل واعترفت به الغالبية العظمى من الدول الجارة و تعاظمت قوة

هذا المحتل وصار جيشًا له شعب بل ويستقدم شعبًا من الخارج ليستوطن ويثبت احتلاله. المؤسف أن هناك من يشتري سلامة واستقرار شعبه من الدول الجارة بالصمت على مجازر و مبادىء تنتهك ولا يقدم يد المساعدة ومناصرة أخيه في الدين حتى يستمر في حكمه و يظل شعبه ينعم بحياة خالية من الحروب.

في عالمنا- نحن حبات التراب- عندما تأتي جيوشًا جرارة من الرمال تجلبها الرياح لتستوطن مكانًا نسكنه نحن التراب تقوم حروبًا ونتحد جميعا ولا نختلط بالرمال، لم نعقد معاهدة تعايش سلمي ولا تسوية حيث يعيش الرمل والتراب متجاورين لأن المكان الذي به تراب لا يوجد به رمل و العكس كما أننا أعداء لا يصح أن نتعايش و نتجاور فليعد الرمل إلى مكانه الأصلي و يعود التراب إلى حيث مكانه الأصلي .دولة التراب العظمي لم تعقد يومًا اتفاقًا مع الماء حتى لا تذوب هويتنا ، فلماذا يفعلها البشر ؟ لماذا يضحكون على أنفسهم ويكذبون على شعوبهم حتى يتخلوا عن مسؤولية النضال. أي تسوية وأي سلام يتحدثون عنه وهناك طرفًا أقوى من طرف؟؟؟

وتتحقق حكمة الخالق المأثورة " بعضكم لبعض عدوا" ....

-٧-

اليوم مغامرتي تأتي مع نوع مختلف من البشر ونوع مختلف من الحياة ...

حياة مليئة بالتعقيدات و التقاليد والأعراف الرسمية .عشت معه يومًا من أيامه ، في مغامرة من مغامراتي الكثيرة لعالم نظمه سيده بهندسة عجيبة ومدهشة وثرية تبعث على التأمل لمن يريد التأمل...

اليوم أعزائي أنا مع رجل يهابه الجميع ،يخافون بطشه وعندما يراه الجميع تزداد حدقات عيونهم اتساعًا ويضفون على ملامحهم الأدب و الاحترام --حتى وإن كان مزيفًا --سبحان الله إن البشر بارعون فى قلب مشاعرهم والتلاعب بها : إخفاءها أو اظهارها ببراعة .

أنا الآن فى مكان تقل فيه حبات التراب أمثالي جدًا وأكاد أشعر بعزلة ووحشة فيه ،فالمكان به هدوء غريب ونظيف جدًا وتشعر فيه بأنك معزول عن العالم و بأنك مسجونًا فى سجن خمس نجوم مثل سجون يرتادها بعض البشر على حد سمعي من عالمهم الغريب .

تري هل أتجرأ و أقول " رفيقي" ؟ لا أدري...، أم أقول " سيدي " ؟ أنه لا يسمعني ولا يشعر بي لنقل رفيقي كبديل آمن لكلمتي المعتادة لكل بطل من أبطالي..

إنه رجل يحمل هموم فوق طاقة الكثيرين فبالإضافة إلى هموم نفسه وحياته وعائلته يحمل هموم الكثيرين جدًا جدًا جدًا،زخم من البشر الذين قد لا يتفقون فى أبسط الأشياء و القرارات.

"سيدي "تولى المسؤولية وهو يمتليء حماسًا لتحقيق إنجازات وأحلامًا عامة وشخصية لإثبات ذاته فى المقابل. ولكن كعادة البشر يفتر حماسهم سريعًا ولا يلبثون- بالتعود – أن يقل الحماس ويلوح الزهد فيتسرب الملل وزخم المسئولية وثقلها يدعوه دائمًا إلى اللجوء إلى السكون. إن وظيفة "رفيقي" تبعث على الملل لكثرة مشاكلها ، وقد شعر به كثيرًا لكنه لم يفكر أبدًا أن يتركها وينسحب إلى صفوف الجماهير ويعود إلى أدراجه فى هدوء. وإن طرقت الفكرة باب عقله سيجد حتمًا من يردعه من أهله ، والمستفيدين من وراءه،كما سيجد أسوأ العواقب بدءًا من انفضاض الناس من حوله ومرورًا بانزواء الأضواء وصنع القرار وانتهاءًا بالتفتيش فى الدفاتر القديمة و المحاسبة وربما المحاكمة ....

فالخروج من السلطة أصعب من الخروج من الحياة بأكملها لذا فهو يفضل ترك المسؤولية إلى الحياة الآخرة لا إلى حياتنا الدنيا.. يخاف رفيقي ممن سيعقبه فى مكانه أن يظهر نفسه فى مكانة الأبطال الذين يـــأتون على ظهر الحصان الأبيض ليمحو الباطل و يظهر الحق ويحاسب سلفه ليبدأ هو عهدًا جديدًا ناصع البياض و ربما ليملأه هو بخطايا جديدة ...

ياربي !! إن البشر يأكلون بعضهم البعض في شراسة لم نرها في عالم الذئاب و الحيوانات المفترسة.

الحفاظ على سلطات رفيقي-أقصد سيدي- هذا تتملكه بشدة ربما تفوق قلقه على أولاده ، تمادى في خوفه وقلقه إلى حد الدهس على كل من تسول له نفسه —مجرد التفكير الذي لا يصل إلى حد التنفيذ —أن ينتقد سلطاته و تصرفاته وذلك ليضمن بقاء سلطته.

إنها شهوة قوية التأثير على البشر.

حفاظه على سلطته يجعله ينحي ضميره جانبًا —فهما لا يجتمعان أبدًا السلطة و الضمير عدوان لدودان يتصارعان حتى يقتل أحدهما الآخر.ليس هذا فقط بل يوظف صديقي الآخرين للحفاظ على سلطته هذه —وبالتالي سلطاتهم —تماما كالصفقة غير المعلنة وهكذا بات على هؤلاء الآخرين قتل أو دفن ضميرهم حيًا أو لينصرفوا حتى يجد غيرهم.

آآآه!!إنه وجع الروح وقتلها ، أرى البشر يقتلون أرواحهم يوميًا بأيديهم يوميا دون أن يتحملوا حتى لحظة ألم جسدية أو شكة دبوس أو ألم حقنة صغيرة...سبحانك ربي.

اليوم يعتبر سيدي نفسه في مأزق حيث إنه صار له سنوات طويلة في مسئوليته وكلما مر العمر كلما فترت همته للحرص على رعيته وقويت همته للحفاظ على كرسيه ومكانته و تمسك

بالكرسي أكثر و أكثر.مأزقه هو ملل الناس منه ومن مسئوليته، يشعر بفتور حرارة تصفيقهم له وقلت جمل المجاملات وتعبيرات وجوههم ودعوات من قبيل " ربنا يخليك لينا يا ..." أو "ربنا يطول عمرك " . بعد أن كان ينحي كل من يستأثر بحب الناس وشعبيتهم جانبًا بات يشعر أنه كلما فعل ذلك كلما ازداد من ينحيهم شعبية. ومن يظن نفسه على الناس ضاحكًا وخادعًا؟!

يرى ويسمع عن فساد حكمه ولا يقوى على فعل شيئ ليس فقط بسبب اعتلال صحته بل لافتقاره إلى الأدوات...أدوات التطهير،فمن يحافظون على السلطات - والذين يشعرونه أنه فى احتياج دائم لجهودهم — يسندون عرشه بأكتفاهم وهم بالطبع غير طاهرين بل قد عفى على وقت تطهيرهم الزمن وصاروا غير قابلين للتطهير كحاله هو شخصيًا ، رغم أن التطهر و التوبة لا وقت لهم ولا حدود لهم فى رأيي أنا حبة التراب المتواضعة.

أتساءل مالذي أوصله إلى ذلك؟ أهو شخصيًا ، أم من حوله الذين يؤلهونه أم من يختارهم؟

ربما يفكر هو في ذلك الآن وأنا أتأمله سارحًا ....

أراقبه وهو يفكر كثيرًا ويتأمل شريط حياته لا يكاد يصل إلى حل، أهو القدر؟ أمن نحن صناع القدر ؟ أهي مصادره

المعلوماتية فى اتخاذ القرارات المصيرية ؟ ظل يقارن بينه وبين أسلافه وفشل لأن الظروف تختلف...

تركته على حيرته مشفقة وهو غير واثق أيريد الحياة أم الآخرة ؟ أيريد السلطة وسحرها أم اكتفى منها وحان وقت تصحيح الأخطاء؟

هل مستعد للنهاية أم يخاف منها متضرعًا لتأجيلها ولو للحظات..؟

لطالما تدهشني الحياة والبشر وردود أفعالهم أكثر من أي شيء في حياتي الضيقة الفارغة الخالية من أي صراع أو مشاكل بل مشكلتنا بالمقارنة بما أراه في دنيا البشر تتلخص في المياه فالمياه عدوتنا رغم أن الله خلق منها كل شيء حي وكرمها وهي سر الحياة ولكنها سر موتنا ،فإذا حلت المياه بنا نحن حبات التراب تكون كالوباء الذي يقضي على عدد كبير من البشر وربما يصمد منه مايصمد وينتهي من كتبت له النهاية ....

نعود إلى بطلي اليوم الذي لو كنت أستطيع أن أتبناه لفعلت، فما ذنب الإنسان في وجوده ،طالما سألت ربي عن سر الوجود ولغزه وحينما لا يختار الإنسان وجوده ، تظل مهمته أن يتغلب على ظروفه بالتغيير للأحسن أو للأفضل فإن فشل لن يسعد وإن نجح يتطلع للأفضل....

بطلي طفل ينتمي حتى الآن الي زمن الطفولة،يلهو ويلعب ضمن أطفال كثيرة وأم فقيرة تسعى و تسعى طوال اليوم لتأتي بطعام يكفي بالكاد لإطعام تلك الاطفال ،تنظف بيوت الناس وتنظف السيدات من شوائب قد تضايقهم وتعوق زينتهم...

لكن هذا الطفل يختلف عن تلك الأطفال رغم أنه لا يشعر

بهذا فلاتزال البراءة تلهو به كما يلهو هو بالحياة ويبتسم للحياة التي لم يعرفها على حقيقتها بعد...

الأم لديها من الأبناء الكثير منهم الأطفال ومنهم المراهقون وابنتها الكبرى الشابة التي تعمل بمدرسة يتعلم فيها أبناء الطبقة الراقية من البشر، تعمل الابنة أخصائية اجتماعية بالمدرسة أي تحل مشكلاتهم...نعم تحل مشكلاتهم ولا تستطيع حل مشكلتها بل معضلتها الأساسية في الحصول على أبسط متطلبات الحياة...

توطدت علاقة الابنة بالفتاة الجميلة الثرية ابنة " الذوات " —وفي لغة البشر تعني ابنة الطبقة الراقية- وكانت ابنة الذوات الجميلة على علاقة بشاب زميلها بالمدرسة فماذا ينقص البشر بعد المال و الأريحية الاجتماعية سوى الحب .

كانت علاقة الحب بين الفتاة الجميلة الراقية وزميلها معروفة للجميع وكأنهم زوجين نجمين في كل شيء وحتى بعد ان تخرجا ظلا على عهد الحب رغم اعتراض أهلها عليه ورغبتهم في تزويجها لمن يحقق مصالح مادية مع الأب الثري الذي يطمح دائمًا في زيادة ثروته .

كان تحدي الأهل لدي الحبيبين كفيلاً بقرارهما بالزواج السري أو العرفي...

وبينما يشتد الصراع بين الأهل وابنتهما بينما هي زوجة فعلية لحبيبها ويتحرك في بطنها جنينه فتسافر لتلده وتستنجد بالصديقة الفقيرة الأخصائية الاجتماعية لتودع لديها الوليد الجديد في بنك الاطفال التي ترأسه الأم الفقيرة منظفة البيوت والسيدات... مقابل مبلغ شهري جيد ورعاية خاطفة من الأم الثكلى المتزوجة سرًا..

وبرغم مرور السنين الأربعة على عمر الوليد –بطلي الذي أشفق عليه من وجوده– غير أن الحال تغير وتشاء الأقدار لتزيد من شقاء الوليد فتنجح الزوجة والأم في الضغط على أهلها لتتم الزيجة المقامة فعليًا في السر لتجعلها علنية ويتزوج الحبيبان بعد طول انتظار لعلانية حبهما وليس لالتقاءهما....

والوليد ؟؟؟

نعم ، سألت نفسي مثلكم ، ولكن الإجابة كانت قاسية وشقية مثل حياة الوليد التي لا أريد أن أراها ولا أرى مستقبلها..فالطفل الذي يبلغ من العمر أربعة سنوات كيف يواجه به أهله المجتمع وهم العريسان الجديدان....

ياربي!!! سيحرم هذا الطفل من وجوده ونسبه وحياته التي يستحقها بسبب المجتمع والأقاويل...

ياليتني كنت طميًا حتى لا أشعر بما سيشعر به بطلي في المستقبل حينما يدرك حياته..

-٩-

مغامرتي اليوم مع بنت من بنات حواء،لا أدري إذا كانت تمثل جميع بنات حواء تجمعها بمن مجموعة أحاسيس تجمع سائر الجنس.

استقريت على وجهها و رأيت قسمات الوجه ورأيتها وهي تقف تشاهده في المرآة بين الفينة و الأخرى . لا أدري لماذا تنظر إليه طويلاً فى المرآة و تجرب جميع المساحيق التي تضايقني وأنا أقف على وجهها ، ياليتني أنطق حتى أقول لها إن الجمال —من واقع ملاحظتي لبني البشر- لا ينبع من مجرد قسمات معينة لها مقاييس معينة بل إنه شيء نسبي جدًا . إنها تلك الروح التي تنضح على تلك القسمات فتكسبها توهجًا وروحًا، وسبحانه الروح من أمر ربي...

فالله قد جعل ذلك بهندسة وقدرة ربانية لا قدرة بعدها، جعل الجمال و مقاييسه غير موجودة وغير مرئية .

فقد شاهدت فتاة تجبرك على النظر إليها وبعد أن تفيق من النظر اليها و تركز لتحلل أسباب النظر إليها لا تجد شيئًا لكنك إن رأيتها مرة ثانية تجذبك للنظر إليها مرة أخرى ومرات ومرات ، ترى لماذا ؟ أهناك سحر ؟ ماهي العناصر الخفية ؟

مطلقًا ، إنما قدرة الله سبحانه ، إنها الروح التي تضفي على الوجه قسمات تقلبه و تبدله ، إنه مستوى آخر من الإدراك لدى بني البشر يستطيعون تبديل ملامحهم بالمشاعر التي تنضح على وجوههم. واعتقادي المتواضع أن الملامح كالقوالب مايملأها من روح هو جمالها الحقيقي ، وإذا افترضنا أن الروح بمثابة المياه التي تملأ القسمات فإن نقاء المياه من عدمه يتحكم في الجمال...

فتجد ذات الروح الغاضبة مهما كانت تحمل من قسمات جميلة بمقاييس متفق عليها لا تستطيع أن تنظر إليها طويلاً حتى دون أن تعرف السبب.

و قد يُخدع الإنسان بملامح لها مقاييس فى خياله وجدها تتفق و من رآها فيظن أنه وقع فى حبها ثم يفيق بعد أن فات الأوان أم ترى بني آدم كُتب عليه أن يزهد ما في يديه... ربما

نعود إلى صديقتنا،تقوم بوضع مساحيق ومواد كثيرة تضايقني وتحول لوني وهويتي من حبة تراب خلقني الله على لوني إلى حبة تراب بيضاء اصطناعية

وضعت لي " مكياجًا " كما يطلقون عليه بني البشر –أنا لا أريد وضع تلك المواد ، أوتدري مما صنعت تلك المواد الملونة؟ أكاد أصرخ في حبات "البودرة"فيغيظوني ويسبوني،لا أريد أن

أترك لهم ساحة المعركة يريدون أن يزيحوني —هؤلاء الحبات غير المهذبات — لكنني لن أترك مكاني ولن أغير من هويتي...

ياربي !!! إنها تبدل كل دقيقة مسحوقًا مختلفًا،كل لحظة أتلقى لفحة من مسحوق مختلف بلون مختلف أو حتى نفس اللون برائحة جديدة ومن تلك المساحيق من يمنعني أن أتزحزح من مستقري على وجهها ومن تلك المساحيق من يمنعني من تنفس الهواء الطبيعي.كل لحظة أستقبل وافدة جديدة من حبات التراب —إن شئت تسميتهن - ملونة ومعطرة بعطر مزيف...

أكاد أسمع بشرتها ومسامها تتأوهان رفضًا لكل تلك الحبات الجديدة ، لماذا تتخفى بنات حواء وراء هذا الحاجز السميك ؟ لماذا لا يرضون بلون بشرتهم و يرسمون على جلودهن ؟

هاهي صديقتي تجرب كل الأشياء ثم تنتهي لشكل نهائي فتضعه وتجري مسرعة وأنا معها سجينة المساحيق...يبدو أنها في عجلة من أمرها .

تسير فى الشارع حائرة لا تدري هل هي جميلة وعيناها تسأل كل من يطالعها هل أنا جميلة؟تسير مسرعة حينما تأتي لها أفكار تهمس فى أذنها أنها مصطنعة وغير حقيقية وحتى إذا كانت جميلة فجمالك تزيله حبات مطر خفيفة...تعود إلى المترل وأنا لازلت سجينة خدها بعد يوم شاق طويل وبعد أن

كانت بين الحين و الآخر تلفحني بزمرة من المساحيق المبيضة لي ولها .

هانحن نقف أمام المرآة مرة أخرى ستخرج مرة أخرى ليلاً، بعد أن كدت أتنفس الهواء لساعات ليست كثيرة ...

أواااااه ! هل سأخوض مرة أخرى لمثل تلك التجارب المريرة من تجربة المساحيق المختلفة ؟!

تقوم رفيقتي بتجربة كل المساحيق كالعادة وكلما جربت شيئا تنظر كالمغشى عليها فى المرآة وكأن شيئًا لا ينفع إلى أن وصلت لقرار سريع لم تتراجع عنه كعادتها فى بقية جوانب حياتها ... وقد سعدت كثيرًا بهذا القرار.

حمدا لله!! لقد قررت ألا تضع أي شيئ وضعت شيئًا لا أعرفه على رموشها و حددت عيناها ولونت شفتاها وبدت كطبيعتها تماما بلمسة جمال بسيطة وأنيقة و نزلت مسرعة دون أن تعود للنظر إلى المرآة مرة أخرى كما تفعل دائمًا

بدت تسير طبيعية غير عابئة بالعيون ولا النظرات واثقة من نفسها تتنفس بشرتها و أتنفس أنا الصعدااااااء....

-١٠-

يا أهل الأرض ،يابني آدم ،ياخلفاء الله على أرضه هأنذا أقف على أحد ضلعي الحياة

و العالم الذي خلقه البشر لأنفسهم ....

فقد قسم البشر مجتمعاهم إلي نصفين (مع – ضد) مثل كل شيء له مساند ومناهض .فالدنيا كما خلقها خالقها لها مساندون ولها مناهضون ...نعم الدنيا لها مساندون ....من يساندها يحياها ويحبها ويحب انتشار الخير فيها حتى ربما دون أن يدري هذا ومن لا يحبها هو من ينشر الشر فيها والفساد ويحسب إنه يعيش حياته

مستمتعًا دون أن يأذي أحدًا.إذن،ما هي المصلحة الشخصية والخير الشخصي دون أن يكون للخير الجماعي نصيب فيها؟!! عجبًا!!!فعقول البشر لا تعرف طرقًا لحل حماقات تفكيرهم...

احترت على كتف من أقف في البداية ، فقد رماني الهواء حتى أستقر على كتفها.

لا تقولوا على إنني لم يكن لي الخيار أو حق الاختيار على كتف من أقف ، بل يمكنني أن أقفز نعم ...يمكن لتلك الحبة الصغيرة الترابية –التي هي أنا– أن تختار على أي أرض تستقر.

في أول الامر آثرت أن أقف على كتف المساند إنه يمثل البطانة وحملة العرش، وغالبا ما تكون المساندة زائفة مستفيدة و نادرًا مايكونوا مساندين حقيقيين.

فالمساند للحكم السياسي منتفع والمنتفع أعمى لا يرى حقيقة الأمور ولا يرى الصالح العام بل الصالح الشخصي .أما المساندون الحقيقيون وهم قلة وربما لا تجدهم لأنهم بمرور الوقت سيتحولون إلى منتفعين ...

جربت أقف على كتف المساند الزائف والحقيقي و المتحول. لكنني وجدت الحياة مملة ، فالحكم زائل مهما طال وله نهاية.

الوقوف إلى جانب النظام الحاكم صاب أم خطأ سيؤدي بي إلى زوال.

ولكن هل أتحول عنه حينما يزول لأقف مع غيره كما يفعل الآدميون أحيانًا كثيرة؟

هذا يسمى رياء وتناول الطعام على كل مائدة وحبة التراب مثلي يجب أن يكون لها موقف ورأي في الحياة صابت أم أخطأت....

ماذا تعتقدون؟

أأقف على كتف مساندي الحكم الحقيقيين ؟ إنهم على الأقل يؤمنون بمبدأ ويسيرون خلفه حتى إذا أخطأوا أحيانًا.

وقفت صدقوني لكنهم للاسف تحولوا سريعًا إلى منتفعين بل و أسرع مماتخيلت.

مصالحهم وتأليه الناس إليهم جعل منهم منتفعين .وإن تأففوا من تلك التهم وارتدوا زي المثالية فلابد وأن يصيبهم بعض من" الخير".وإن عزفوا وسعوا وجاهدوا أصعب أنواع الجهاد ، جهاد النفس ففي دوام الحكم أمان واستقرار لهم ولحياتهم بكل المقاييس؟أيقفوا على الحياد ؟

قليل ، بل نادر من يؤثر هذا القرار..

نأتي إذن للمعارضة....

اخترت أن أقف على كتف المعارضة ، وجدت منها ألوانًا وصنوفًا فهناك من يعارض لأنه يجب أن تكون هناك معارضة لإكمال شكل اللوحة ..اللوحة الجميلة للحكم الديموقراطي الذي اخترعه البشر ليحكموا شؤنهم بغالبية الجموع.

هناك من يعارض فعلاً لأنه لا يؤمن بما قدم له.

أقف على كتف النوع الأول فأجده مكملاً ،يلعب دورًا أسند له ولكنه دورًا هامًا قد لاندرك أهميته لإنها ضئيلة . فهو يمثل حائط الصد الذي يقف عنده النظام أو عناصر فساده حتى

لا يتمادون في فسادهم . "....

إذا اختفت المعارضة ماذا سيكون الحال ؟ ربما شعر النظام بالملل من رضا الناس وصمت الجماهير الدائم وربما المقلق .

لكن إذا بلغ الظلم مداه وحدث ماهو مستفز وشنيع، ستقف المعارضة للحديث وشحذ همم الجماهير وقد تنفس عما يريدون فعله أو قوله بالكلمات والعبارات و المقالات الصحفية والكتب التي تباع بأعلى الأسعار. هاهي الفائدة!

وقفت على كتف المعارض الأبدي فوجدته معارضًا عمومًا لأي نظام ولأي حكم وكأنه ساعي بمكتب الوزير الذي يمر عليه وزراء عدة وهو راسخ بمكانه.

ينفس عن كبت الناس وآلامهم والذين يريدون أن يأخذوا حقهم فى النفوذ والأضواء والثروة .يعبر هو عنهم وربما يقدم الأفكار ليتبنوها ...هو يحلل ويفرض نظريات المؤامرة ويحيك الأفكار ليترديها الناس. بضاعته مباعة ومدفوعة مقدمًا.هو ضيف أساسي ومرحب به في أي إعلام حر طليق أو إعلام معارض أيضًا...

يكمل الإطار الديموقراطي وهو هام بكل المقاييس للناس والنظام.

لا لا سأذهب إلى هذا ....

سأقف على كتف من يعارض لأن لديه مايعارض به ولديه من الأفكار التي تجعله ميزان نبض الناس وميقاتي العقول. لا يأكل إلا على مائدته وقد يتفق مع النظام أحيانًا ولكنه غالبًا يرفع راية الحق وهو مسكين مطارد دائمًا وحياته في خطر.

وقفنا عليه أنا وزملائي على هذا المناضل وازدحمنا حتى كدنا نغشيه تمامًا ، إنه لا يتحرك.هل أرهقته مطاردة أزلام النظام وكاتمي الأفواه؟؟؟هل أتعبته المطاردات والمؤامرات؟؟

ياربي!!من أتى بكل هؤلاء حبات التراب الذين لم أرهم منذ زمن. صدقوني لم أدعو أحدًا .

صوت صديقنا المناضل يخفت مع الوقت ومع تكاثر حبات التراب عليه .

وأنا أصرخ فيهم " افسحوا ....لا تتكاثروا ولا تستوطنوا على حنجرة صديقي

فإنه صوتًا يجب أن يكون موجودًا بيننا....

أين أنت يا صديقي؟؟!!!"

-١١-

لم أرد اليوم أن أقوم بمغامرة من مغامراتي في عالم البشر رغم أنه شيء يمتعني أيما الإمتاع و يعطيني من الحكمة مالن أستقيه ما حييت ولكنني تعبت وأرهقت أعصابي وأرهق قلبي من كثرة المشكلات والتعقيدات،نعم لدي قلب يشفق ويحمل من مشاعر ما قدر للبشر أن يحمله،إنه خلق جهولاً ظلومًا لنفسه ومن حوله وماحوله...

نعم سأستقر على هذا السطح الحلزوني ربما يتأرجح بي فيلفحني نسيم عليل لأرتخي قليلاً...

ماهذا؟!إنها تلك الأداة التي يستخدمها الآدميون في التخطيط و الكتابة .

أااااااااه !! نسمة عليلة تأتي من تلك الجهة

تكاد تحرك القلم لأتطلع على ما يرقد تحته القلم..

ماهذا ياترى؟ كل تلك الاوراق و الجمل و التعبيرات...

ياربي!!!القد قلت أن لا أقوم بأي مغامرة اليوم...ألا أستحق إجازة؟!!

لا بأس سأحاول أن أقرأ ما هو مكتوب.

ممممم.....ياربي!!!!!أللبشر كل هذا المخزون من المشاعر

الجميلة التي تنمو وتكبر مع الايام ؟ والأجمل هو التعبير عنها...

لقد فرت دون مني دمعة تعاطف مع كاتب تلك السطور الكثيرة والطويلة التي تحكي يوميات حياته،سأحاول تلخيصها لكم:

صديقي هذا كبر و نما وعاش وهي أمام عينيه ،لم يعرف سواها وربما لم يرد أن يعرف سواها خشية أن تدخل قلبه وتعشعش بوجدانه وإدراكه سواها.

كان صديقًا حميمًا لأخيها الأصغر وكانت هي الأخت الكبرى لصديق الطفولة الحميم وبالتالي له.

يأتي يوميًا ليلعب مع أخيها ويتذكر أنه ضبط نفسه في كل مرة وهو ينظر إليها وهو طفلاً وهي على أعتاب الشباب ولا يكاد يحول نظره عنها كأنه جالس أمام فيلمًا كارتونيًا مما يهوى مشاهدته صغار الآدميين..

وأحيانًا كانت تأتي لتصطحبهم من المدرسة ليعودوا كلهم إلى البيت فبيته يجاور منزلها الحبيب إلى قلبه..

عندما كانت تصطحبهم إلى المكان الذي يجتمع فيه القوم ، كانت تتركهم لتذهب مع أصدقائها فكان يحث صديقه على أن يظلا بالقرب من الأخت حتى لا يضلا ، غير مدركًا لمعنى إحساس الراحة والأمان الذي كان يستشعره بالقرب منها.

كان يدرك وهو طفلا أنه لا يقوى على الاستغناء عن صديقه وجاره المقرب فيحزن حينما يسافرون ، فإذا مر يوما دون أن يراها — أو يراهم — قد يخيم عليه الاكتئاب ، نوعًا من الاكتئاب الطفولي الذي يشعره الطفل لغياب أمه أو لغياب عزيز لديه...

نمت تلك المشاعر يومًا بعد يوم وصارت شجرة تظلله ، أغصانها عظيمة وجذورها ضاربة في القلب حد النخاع...

أحيانًا كان يخاف افتضاح حبه فيدعي عدم " استلطافه لها " ويأخذ أخيها بعيدا ويهرب من زيارتهم في البيت حتى لا يراها

فيجد في نفسه قوة تعيده إلي حيث تجلس هي...

لا ينسى لحظات حينما كانت تستذكر لهما فيقبل على المادة التي تجيد استذكارها لهم ويكره المواد التي لا تجيدها فلا تستذكرها معهم .

كما لا ينسي يومًاعاد من المدرسة بعد مشاجرة صبيانية مع فتيا بالمدرسة فعادا مجروحين— هو وأخوها — فقامت هي بالإسعافات الأولية ونفخت هي بأنفاسها الحبيبة في عينيه الملتهبة لا يدري ماذا كانت تنفخ أفي نار عشقه لها أم ماذا ....

أحيانًا كثيرة كان يشعر أنه يحب صديقه الوحيد لأنه أخيها.

كبرا الصبية وكبر احب ونما بل وبدأ هو يدركه : في رعشة

صوته معها ، تسارع ضربات قلبه عند سماع صوتها أو رؤيتها وغيرته وعدم قدرته على التوقف عن التفكير فيها وقد صارت هي شابة تعمل وتتلقى عروض الزواج وهو لا يزال على أعتاب الجامعه...

قد يتصنع التعرف على فتيات أخريات مثل أصدقائه لكن هيهات أن يجد من تماثل من تسكن قلبه ما إن يسمع بمشروع زواج تدخل فيه حتى يتمنى من الله أن يفشل لا لشيء غير أنه متأكد من أنه لا يوجد رجل على هذه الأرض يستطيع إسعادها مثله لأنه ببساطة لن تجد مقدار حبه لها لدى أي رجل في الدنيا...

صارت المسألة معقدة وكلما كبر وتقدم في عمره زاد الحب وتمكن منه في لحظات كثيرة خاصّة وهو يراها ترتاح له كأخيها فتتحدث معه وتأخذ بمشورته وهو لا يقوى على البوح أو التلميح أو التلويح .

فمن اغتوى بالأمر المحال ،لا يقوى على الفرار...

هكذا كتب صديقي وعبر عن نفسه في تلك الأوراق وبهذا القلم الذي أقبع عليه.

لنرى ماذا كتب أيضًا وقد أكلتني الشفقة علي حاله:

كان صديقي يخاف من فضح هواه الذي كان كحائط صد ضد أي محاولة اقتحام لفتاة أخرى ، فكان أخيها يصادق ويقع في الحب وهو يصد و يمتنع عن الدخول في علاقات كما يفعل الشباب في عمره. في وسط اندهاش صديق عمره من محاولات الفتيات للتقرب منه يدعي هو أنه لا يحب أي منهن لأن تلك سطحية ، والأخري بدينة ، وهذي تشبه خاله ...الخ من الأعذار. وإذا تصنع مصادقة الفتيات فإن المحاولات تضيع هباءاً ،فمن تلك التي تماثل من تسكن قلبه حتي كاد يطلق عليه أصدقاؤه ومنهم أخيها لقب" الراهب" ومن يدري في أي محراب يسكن ولا يقوى على الخروج...

الآن وقد صار شابًا يترقب الجميع زواجه وقد سافر أخوها للعمل بالخارج ،يظل هو على الوصال فعائلتها تعتبره الأخ الثالث ، يراها حزينة لفشلها في الارتباط و الزواج ولا يقوى على أن يبوح بأن سعادتها أمامها وإنما لا تدركها هي ...بينما هو غير قادر على الدخول في أية علاقة لمدة أكثر من شهر ، يشعر أنه مجبر على الدخول في تلك العلاقات ليضع تفسيرًا لمن حوله .

قراءتي ، أعجز عن وصف ما أشعر به من أجل صديقي العاشق الذي كبر ونما في دنيا الهوى و لم يزل يعيشها بكل قواه لا يريد الخروج منها ، رغم تمرده عليها أحيانًا فصار يكتب

شعرًا يبوح بما لا يستطيع أن يكشفه.

هاهو قد جاء...

سأسير بعيدًا وأترك الاوراق الشجية لصاحبها الذي جاء يلملمها حتى لا تتبعثر وينفضح أمر حياته داعية إلى الله أن يصلح له أحواله ويجمعه بمن يحب يومًا..

-١٢-

وجدت اليوم مغامرة -موضوعة أنا فيها رغمًا عني - اشمأزت نفسي وخلجات ترابي لها و زادتني نفورا من البشر وعالمهم القاسي .

لقد وقفت على غرفة في بيت من بيوت تمارس فيه تجارة محرمة يحرمها الله بسبب أنها تحقر من قيمة الإنسان و ماله من نعم منحها الله له....تجارة حرمها الله لأنه يحب البشر أكثر مما يعلمون ، تجارة ترفضها فطرة البشر الخيرة و تشمئز منها النفس الطيبة فبعض أخواتي من حبات التراب يؤمن بأن فطرة البشر خيُرة و سليمة و لكنني شخصيًا أشك أحيانًا في ذلك ...

البيت الذي توقفت لديه يتاجر بلحم البشر نساءًا ورجالاً فالبيت يوفر جسد النساء الصغيرات الغضات من كل شكل ونوع ، كما صار متوفر لديهم خدمات أخرى -توصيل اللحم الرخيص إلى المنازل و أيضًا هناك باقة جديدة أضيفت:

مفاجأة!!!يوجد تشكيلة جديدة من الرجال من كل الأصناف و التوجهات و الأعمار -حسب الرغبة ....

آسفة يا قرائي الاعزاء فأنا أكاد أقلد أسلوب الإعلانات التي يستخدمها البشر للترويج لسلعة ما ...نعم إنهم يتاجرون بأجسادهم مقابل المال وأحيانًا مقابل الجسد في حد ذاته ...

فمن الممكن أن يهوى بشر فتاة أخرى ولكي ينولها يدفع الثمن لقوادها جسده هو شخصيًا التي ترغب هي فيه ، فللبشر ميولاً في أجسادهم ...

أكثر ما تعجبت منه و تعجب منه كذلك أخواتي من حبات التراب هو شهوة الرجل للرجل وشهوة المرأة للمرأة وهذا لم يحدث أبدًا فى عالم الحيوانات، هل انحط البشر لما هو أدنى من رغبات الحيوانات أم هو عقلهم الذي يشقيهم و يسمو بهم وينحدر بهم ؟

لقد رأى نبي الله لوطًا -عليه الصلاة و السلام - في قومه هذا الفعل البشع وتعجبت منه جداتي من حبات التراب في ذلك الزمان ..

وها نحن نراه تحت مسمي " دعارة " كما يطلق عليها البشر في زماننا هذا ولا أدري ماذا سيشهد مستقبل أحفادي من حبات التراب....

كنت أقف على جسد أحدهما وهو يتصبب عرقا أثناء إتيانه بهذا الفعل البشع وكنت أختنق من رائحة الفعل و رائحة عرقه، رغم أن عرق البشر لم يضايقني يومًا ولكنني اليوم شممت له رائحة نجسة عفنة -علميا لا يوجد سببًا لما أقوله ولكن-حسبما أعتقد- يبدو أن العرق النابع من مجهود فعل شائن يختلف فى

وقعه وروحه وكينونته عن أي عرق صادر عن أي فعل آخر...

لم يكره الله الحب ولا ممارسته بكل أشكاله ولكن نظمه ورتبه بهندسته بحيث تكون فعلاً ممتعًا حقا لكل آدمي بدلاً من أن يكون مقابل المال،وبدلاً من أن يفنى بانقضاء حلاوة الجسد وذبوله و هرمه، وبدلاً من أن يكون نابعًا من رغبة مجنونة عابرة مؤقتة قد تجر المزيد و المزيد و تربي في النفس مللاً وشرها غريزيًا ومضمون أن لكل شيء ثمن ،كما تغرس نظرة دونية للمرأه و البشر بصفة عامة وهم عراة ككائنات بيولوجية ليس لها عقل ولا قلب و لا قدرة ولا إرادة حقيقية قد تغير الكون مثلاً. بالإضافة إلى خطر اختلاط الأنساب....

رأيت رفيقي -لا أريد ان يكون رفيقي و أرفض هذا اللفظ كما أرفضه -رأيت هذا البشري ينتهي من فعله وكأنه مرهقًا مشمئزًا لا يكاد ينظر حتى إلى شريكته ثم يرتاح قليلاً ثم ينصرف واضعًا المال جانب فراش الإثم الذي يلتقي عليه كل مذنب في الأرض ...

وقفت على نافذة أخري ورأيتها هي--أحد أعضاء المترل - تسرح لايبدو عليها الفرحة و لا الانتعاش ولا حتى الألم كأنها آلة تعمل عملاً روتينيًا ، كأنها قد تم اجتثاث روحها منذ زمن

بعيد ، ربما منذ أن التحقت بهذا البيت المشبوه ،تقوم بإحصاء المال تدب بعضه فى حقيبتها و تترك الباقي ثم انفتح الباب فجأة لتباغتها سيدة أخرى -خافت هي عند رؤيتها - يبدو أنها تخبرها بوجود شريك آخر ينتظر منذ ساعه بل و تتساءل لماذا تأخرت ....وكأنها طبيبة تداوي البشر كل في دوره تداويهم بالمتعة الحرام ...

منهم من يريد خوض التجربة لأول مرة ويخاف أن يخوضها مع من يحب للمرة الأولى فيؤثر التدرب أولاً ، ومنهم من يريد التغيير فدينه ومجتمعه لا يسمح له بتغيير الشريكة بسبب الجنس، ومنهم من لا يقدر على الزواج ويريد إفراغ طاقاته...بل ومنهم وياللعجب متزوج ولكنه يريد التعلم والتجربة مع المحترفة قبل زوجته حتى يظهر بمظهر الليث العتيد ...

أتعجب مرة أخرى من حياة مثل تلك التي تعيشها من أقف على فراشها الآثم،كيف تنام ليلاً وقد انتهك جسدها عدة مرات ببضعة مبالغ من المال حتى إذا كثرت و تعاظمت المبالغ فهل هذا هو الثمن؟؟؟؟كيف تنظر إلى نفسها فى المرآه وقد ولج في جسدها مختلف انواع البشر بدون مشاعر بدون دافع لممارسة ما يمارسونه سوى دافع تجاري كالصفقة لا أكثر ؟؟؟ كيف يتدافع عليها الأشخاص رجالاً ونساءاً ربما لا تعرف

عددهم ولا تميز أشكالهم مقابل أجزاءًا من جسدها يستخدمونها ثم يتركونها ...

نعم اضطرتها الحياة،واضطرها عقلها واضطرها الفقر المدقع و ربما أجبرتها الظروف أو أجبرها شخصًا آخر يبتغي من وراء ذلك ...ولكن لماذا لا يحترم البشر أجسادهم؟

فقد لاحظت أن من ترتدي ملابس تكشف مفاتن جسدها حتى يصير ملكية عامة لكل الناظرين تفعل ما يشابه ما تمتهنه بطلة مغامرتي هذه،نعم أرى كثيرات يداعرن ويكذبن ويرتكبن أفعالاً أكثر قسوة وإثمًا من بطلة مغامرتي ولكني أتحدث اليوم عنها كجزء من مشاهداتي للبشر ..

اندهش وتندهش رفيقاتي من حبات التراب من الزبون التالي... إنها امرأة ...يالا التحول !!!! رجلاً ثم امرأة ....يالا طبيعة العمل....

امرأة تنتهك امرأة،ما أبشع هذا الفعل، لا أريد أن أشاهد!!! إنه شيئًا يخالف الطبيعة ، إنه القبح في أقبح صوره...

تنتفض المرأة من رغبتها و تستهلك بطلة مغامرتي حتى تكاد تفقد الوعي ويطول الوقت -كل وفقًا لثمنه -و يمر ساعة وساعتين وكلما تطلب بطلة المغامرة وقتًا للراحة أو فاصلاً حتى تأتيها المرأة و يرتفع صوتها معلنًا بأنها تدفع كثيرًا اغتناما لتلك

اللحظات و تأتي متخفية حتى لا يعلم بأمرها أحد...

لماذا يخجل البشر مما يفعلونه في السر ويدعون الفضيلة إذا هاجمتهم في العلن...؟

ياربي!!!سأخرج من هذا العش القذر لا أكاد أطيق ماأراه....

الغوث

الغوث....

أهذه هي الأطلال؟ أهي تلك بقايا الأماكن التي يتغنى بها شعراء البشر بأصوات وكلمات مؤثرة؟ أهي تلك الحطام التي تترك في القلب آثارًا مثلما تترك على الأرض ذكريات أليمة..

تنقلت اليوم من حائط إلى آخر ومن طوبة إلى أخرى . كلهن يحدثونني حتى كدت لا أسمع أي منهما.

"بالراحة ياجماعة، الهدوووووووء "..، تتعالى الأصوات، كل يريد أن يفرغ ما في جعبته.

بدأت طوبة منهم الحديث ،سمحت لها بالحديث لأنها أول طوبة بنيت .

قالت : " وضعني أول عامل بعد أن اشترى رجلاً -عائدا لتوه من دولة غنية أخرى – قطعة الأرض من صعيدي وضع يده قديمًا على تلك البقعة من الأرض التي أصبحت بعد عشرين عامًا حيًا راقيًا تسكنه الطبقة العليا من البشر .

اشترى طبيبًا مصريًا عائد من دولة يحقق لها الزيت الأسود اللازم للوقود دخلاً مربحًا يكفي سكانها وسكان الدول المجاورة لها- اشترى قطعة الأرض في السبعينيات من القرن الماضي بسعر المتر عشرون جنيهًا من هذا الصعيدي الذي قديمًا اعتبر المدينة أسطورة من أساطير ألف ليلة يتناقلها أهل بلدته

وتتحاكى بها نساء بلدته لمساعدة أطفالهن في النوم سريعًا. كان الصعيدي قد قدم إلى أدغال المدينة وعمل في بناء المساكن وعمل حارسًا لعقارات حتى كون ثروة لابأس بها ووجد أرضًا أهملتها الدولة لخلو المنطقة من السكان وربما تركزهم في بضعة شوارع رئيسية في زمن كانت السيارات كفيلة بلف رؤوس المارة وقاطني البيوت. وجد الصعيدي شارعًا جانبيًا بعيد عن عيون الحي وبعيد عن الشارع الرئيسي وبعيدًا عن المارة ووجد به قطعة أرض فضاء فادعى شرائها وشاع أمر شراءه لها وجلب اثنان من أبناء عمومته ببلدته الجنوبية - التي صارت مع الزمن تطرد أبنائها - ليحرسا الأرض ويبنون مكانًا للإقامة الكاملة به حتى يلقي فيها أساسًا لبيت فيما بعد .

علم الحي بكل هذا ودارت صراعات طويلة وبقى الحال كما هو عليه حتى وجد الصعيدي ضالته في طبيبًا قادمًا من دولة غنية تعيش على دخل الزيت الأسود اشتراها بمبلغ لم يكن الصعيدي يحلم به حيث كان يريد التخلص من المشكلات مع الحي."

هنا تتدخل الطوبة الأخرى طالبة دورها في الحديث فسمحت لها بالحكي طبقا لتكافؤ الفرص الذي يتغنى به البشر...

قالت :

" المال له مفعول السحر في دنيا البشر،فقد انتهت

مشكلات الأرض مع مسئولي الحي وتم وضع الأساسات و تم زواج القادم الغني بابنه مسؤول الحي وعش المستقبل سوف يكون على تلك الأرض.لا بل صارت فيلا جميلة تسكنها أسرة مكونة من زوج ميسور طبيب وزوجة وثلاثة ابناء . عاصرنا جميع لحظات حياتهما السارة والضارة ، نشهد أننا ارتبطنا بجميع من في البيت. وشهدنا أحداث حياتهم ،سمعنا أنينهم و صرخات فرحهم.

شهدنا صرخات الزوجة حينما علمت بزواج زوجها الثري بأخرى وسمعنا أنينها و لعناتها "لمراهقته المتأخرة" - كما يطلق عليها البشر- حينما يتزوج الذكر العجوز من فتاة تصغره حتى يشعر بأنه لازال قادرًا على جذب الإناث وتحدث غالبًا للذكور الأثرياء.....

نعم شهدنا صرخات الابناء والأم حينما وقع الزوج العجوز مريضًا ثم مات تاركًا زوجة شابة حاملاً في ولي عهد جديد وثلاثة ابناء شباب وزوجة مصدومة في خيانة زوجها..."

هنا صرخ جميع الطوب في نفس واحد ": لم نشاهد فيلمًا من أفلام البشر أو عملاً مسلسلاً بل شاهدنا واقعًا عشناه يومًا بيوم متجسدًا حقيقيًا من لحم ودم ودموع وابتسامات.

صرخت طوبة من بعيد"شهدت بنفسي أولى خطوات الابن الأكبر قبل أن يكمل عامه الأول- وتعثره ثم وقوعه على

تلك البقعة وسط ضحكات أبيه وأمه،كما شهدت حفلات أعياد ميلاده وأشقائه .."

صرخت الأخرى:"حينما حدث الشقاق بين الزوجين رأيت وسمعت،رأيت التغير الذي لاحظته الزوجة ورأيت حسرتها على إخلاصها ففي عالم البشر تخلص الأنثى في الغالب وقليلاً ما يخلص الرجل.."

استأنفت الطوبة الأولى -العميدة- بقية الحكاية قائلة:

" اختلف الابناء منهم من يريد السفر ومنهم من يريد الإلحاق بحبيبته حتى لا يحظى بها غيره من الأغنياء . والزوجة تريد لم شمل الأسرة رافضة القادم الجديد ابن الخيانة الذي لا يزل في رحم المرأة الأخرى،يريدون التقسيم ،يريدون الاستقلال ولا يريدون قبول العضو الجديد القادم .

فتم البيع لشاري جديد من أغنياء المواد المخدرة ، أراد أن يغسل أمواله ببرج يبيع شققه ليبني ثروة لا يحتاج معها إلى المتاجرة في الموت في أواخر أيامه وتم هدم الفيلا ..."

هنا تعالت دموع وصرخات الطوب حتى كادت تبلل الانقاض " لماذا يبيع الإنسان؟كيف يقبل مجتمع البشر أموال أساسها موت وسموم لبناء بيوتًا ومنازلاً وأسرًا وعوائلاً ومستقبلاً ....؟؟؟!!!

وهنا أجبتهم -أنا حبة التراب- نعم يقبل البشر أي شيء في سبيل المال ، ومن لا يقبل فليصمت،فمن ذا الذي ينتظر اموالاً تأتي من عمل جاد واجتهاد-هذا إذا كان أصلاً العمل الجاد يدر أموالاً كافية- ؟؟ فالمال اختراع بشري يبيع من أجله الآدميون كل نفيس وغالي...

وجدنا أنفسنا كلنا نتحي جانبًا بقوة الدفع ..

زلزال قوي يسحق الطوبة تلو الأخري فأستعين بزميلاتي من حبات التراب ونثب على الطوب للتخفيف من الصدمة ، تتعالى صرخاتنا وصرخاقم ولا يسمعنا أحد... الألة الضخمة المسماه بالبلدوزر تكتسحنا جميعًا وتكتسح ذكريات المكان وآلامه وابتساماته لتسوي الأرض وينمو برجًا كبيرًا يرتفع إلى عنان السماء على أساس من الأنين والآلام....

استيقظت اليوم فوجدت نفسي أرقد على سطح معدني ينتج ضوضاء سمعية وتنفسية فيكاد دخانها يصيبني -أنا حبة التراب- بالاختناق .علمت أن هذا الدخان المتصاعد من فتحة في أسفل المركبة المعدنية ينتج عن احتراق مجموع غازات تشغل تلك المركبة التي تخدم البشر كثيرًا ولكنها تلوث المناخ العام للكرة الأرضية كما تتسبب في فتنة البشر بزهو الحياة ورفاهيتها، عجبًا لماذا يخترع البشر مايضرهم ويجعلهم أسرى ربما لأنها اختراعات تخدمهم

والبشر يرددون مقولة " خادم القوم سيدهم" والله أعلم....

كنت أقف لأجد فيم أقف زبائن من كل شكل ونوع وجنس يترددون على هذا المكان الذي يمتلىء بالأدوات المعدنية يستخدمها صاحب المكان الشاب ويمدها إلى جوف المركبات العليلة التي تأتي إلى محله لتشخيص العلة....

أراه يقف فاحصًا بنظرة الخبير المركبة ليعلن فورًا علتها ويعود إلى صاحب المركبة فيرطن بمصطلحات لا أفقهها أبدًا وربما لا يفقهها "الزبون "- كما يطلق عليه الآدميون.

يذكرني هذا الشاب الآدمي بآخر أراه يرتدي غالبًا حلة

بيضاء ولكنه بدلاً من أن يفحص تلك الألات معدنية المتحركة التي اخترعها البشر ،يفحص في المقابل اختراعات الإله الواحد الأحد سبحانه الخالق البارىء فيشخص علل أجسادهم ويجعله الله سببًا في شفائهم من عدمه...

أنظر بإعجاب إلى بطلي الشاب وأعتقد أنه سيكون بطل مغامرتي اليوم .فهو شاب حصل على قدر من التعليم لم يفده على الإطلاق إنما هي مجرد ورقة تدل على حصوله على هذا القدر من التعليم. ففي عالم البشر تجدهم يسعون دائمًا إلى جمع الأوراق اللازمة لحياتهم بدءاً من ورقة تثبت انتماءهم للوالد وهي ورقة تثبت وتسجل ميلادهم ثم ورقة تثبت هويتهم وعمرهم والأسماء التي سماها لهم الواحد الأحد من قبل ،مرورًا بورقة تثبت حصولهم على التعليم حتى الورقة التي تثبت وفاتهم و خروجهم من الحياة الدنيا .ولا أدري ولا ندري نحن حبات التراب لماذا يسع البشر دائمًا إلى إثبات لبعضهم البعض كل شيء وكأنهم متفقين على احتمالية كبيرة وأكيدة للكذب منذ أن كانوا نطفًا في أرحام أمهاتهم.

صديقي وبطلي تعلم بمدرسة الحياة .تعلم الحكمة من عدة مصادر: زبائن وعملاء عيادته -أو لنقل ورشته ، من أفواه أهله وأصدقاءه وتعاملاته اليومية والإعلام الذي يتلقاه يوميًا والجرائد التي -إن فكر أن يقرأها- فإذا سمع خبرًا

يهرول لقراءاته أما إذا لم يسمع لن يفكر في القراءة. له صديق طفولة ممن تعلموا جيدًا يعتمد عليه في معرفة أخبار العالم من حوله لكنه يطلع على كل من مصادر أخبار ربما لانه -أي الصديق- يعمل بوظيفة على غير ما حلم به وعلى غير ما يؤهله تعليمه....

بطلي تعلم من مدرسة الحياة أن التعليم وشهاداته لا يساويان شيئا أمام التخطيط الصحيح للحياة وتشغيل الأدمغة والحكمة التي يقتصها البشر من كتاب الله وقصصه وكذا التعامل مع خلقه وخبرات البشر وقراءة تاريخ الأمم والحياة على الأرض..

بلمسة صغيرة من يد بطلي على المراجل المعدنية يعرف موطن العلة وببضعة أدوات وفحوصات وتجارب تصير العليلة صحيحة تجري وتسابق أقرانها فيراقبها صديقي بإعجاب وفخر.

جميع مرضاه أعزاء على قلبه كما يعالج الداوي مرضاه فيعرفهم ويحبهم لكن هناك مركبة تتميز عن أقرانها لدى بطلي....تلك المركبة فقط بين أقرانها عزيزة جدًا على قلبه. حين تلمسها أصابعه ترتعش خلجات نفسه ويصاب بقشعريرة. يهتز قلبه وتزيد معدل ضرباته حينما يرن تليفونه الصغير رنة مميزة لينظر إلى شاشة التليفون فتتغير ملامحه ولونها .لماذا كل هذا يا ترى؟

لابد لي أن أعرف....

مممم....ها هي صاحبة المركبة والرنة المميزة.

مممم ...كنت أشعر بأن للجنس الآخر دخل في تلك العوارض. هي فتاة ليست جميلة ،فليس كل بطلة قصة حب لابد وأن تكون جميلة كما يصور الآدميون فير أفلامهم السينمائية.هي عادية ولكن لها روح رشيقة وجذابة خطفت قلب صديقي. ما إن تهل تلك الفتاة أو يسمع صوت مركبتها حتى يعلو وجه صديقي تعبير لم أجده أبدًا سوى على وجه المحبين. أقرأ على وجه - وربما يقرأه الناس معي -سطورًا من حب وشجن ولهفة وأشواق تمني وأمل وألم واحباط. صراع داخلي يدور بعد أن ترحل تلك الأنثى. أثناء وجودها السريع أو مرورها الخاطف يفقد صديقي تركيزه وثقته بنفسه المعروفة عنه ، يتغير حاله مجاهدًا ألا يظهر أي شيء على كلماته ولا وجهه متجنبا النظر إلى عينيها. تفقد لمساته السحرية على المركبات المعدنية قوتها ويقل نجاحه في معرفة العلة فكل ما يدركه -أثناء وجودها- هو علة قلبه الذي لم يتخيل يومًا أنها ستكون قضية حياته.

على الرغم من أن وظيفة صديقي هامة جدًا وخصوصا لأصحاب تلك الاختراعات المعدنية المتحركة غير أن هؤلاء من

داخلهم -بالتعجب -يحتقرون من يعالج مركباتهم المعدنية وإذا تجرأ منهم وعشق سيقابل عشقه بالرفض وربما يهان بقسوة.

يحتاج البشر لبعض الناس في حياتهم ويعتمدون عليهم اعتمادًا شبه أساسي ولكنهم من أعماقهم يحتقرونهم ولا يقدرون قيمتهم الحقيقية في المجتمع.ربما يلقون اليهم بخطبهم الرنانة حتى ينالوا مساندتهم أحيانًا ولكن في آخر الأمر لا يقترنون بهم.

إن ما يقرّب صديقي ممن وقع في هواها مجرد ورقة تفيد بإنه قد حصل على شهادة عليا في الهندسة أو التجارة أو أي فرع من فروع العلم. يبدو أن دراسته كانت تتعلق بميكانيكية الألات ولكنها يطلق عليها البشر "تعليما متوسطًا " وهي بعض الشيء تتعلق بوظيفته أي أنه مفيد لمجتمعه أكثر من كثيرين لديهم قدرًا عاليًا من التعليم الجامعي ويعملون بوظائف لا علاقة بما درسوه مجبرين لا مخيرين .صديقي عمل بمحل واكتسب خبرة عملية لا بأس بها حتى تمكن من تأجير محل خاص به وبفضل اجتهاده اكتسب سمعة جيدة وكثرت زبائنه، ما العيب في هذا يا صديقي؟أليس هذا فخرًا له كانسان أم العيب في سجون التقاليد والتفاخر في المظاهر بين البشر؟ وتلك هي الأزمة الحقيقية.أسمع حديثه إلى نفسه فحينما يرفضه المجتمع وينكسر قلبه يتولد حقده وحقد من مثله...عجبًا أليس "خادم القوم سيدهم" فلماذا تكون الكراهية ؟!! المظهرية يا بطلي

وأوراق إثبات الهوية والحصول على التعليم والصحة والثروة وزينة الحياة الدنيا تسيطر على البشر .فزيوت وشحوم تلك المراجل المعدنية قد تلوث من مظهر صديقي أمام المجتمع الذي يفتن بالوجوه النظيفة والياقات البيضاء والملابس الغالية الثمن حتى وإن تخفي وراءها نيات سيئة لشياطين الإنس.

هاهي فتاة الأحلام تتحدث إلى صديقي فيضطرب قلبه كالعادة ثم يهرول إلى هاتفه ليرد عليها فهو يحفظ رقمها عن ظهر قلب. تحدثه باسمة مازحة وضحكاتها تملأ هاتفه ببهجة وأمل ولكنه كاذب...

تتحول النشوة لديه إلى الألم فهو يعلم أن ودها زائل وأنه لا يعني شيئا لها ،في حياتها هو مجرد شخص تتردد عليه لقضاء حاجة ولكنها بالنسبة له كل حياته وكل يومياته في حالة انتظار لطلتها أو لحديثها. لا يفعل معها ما يفعله مع زبائنه الآخرين من ألاعيب الحرفيين.

نعم ، صديقي رغم أنه بطل قصتي وعاشق ويحمل بداخله قيما جميلة أحيانًا لكنه إنسان وما يتعرض له من خبرات قد تترك آثارًا تغير من شخصيته.كما قلت لكم أن المجتمع لا يقدره ولا يحترمه رغم أنه هام للغاية بالنسبة له فما عسى صديقي وغيره من الحرفيين والعمال سوى أن يتحايل حتى لو إثمًا أو نصبًا حتى يكسب مالاً أكثر ويكون له مكانًا بين هؤلاء الذين قد يرفضون حبه وشخصه رغم احتياجهم له. وهاهي

الحياة وربما المستقبل يصالح بطلي ومن مثله فيستعمل المجتمع مفرداقم وفنهم ويتذوق غناءهم ويقبله كثري بشرط أن يغير مظهره ....

ولكن لا يزال جزءًا من المجتمع يفضل بريق الوسامة والوظيفة ذات المكتب المكيف ذو الهواء الاصطناعي و الراتب و الهاتف و الفاكس....وغيرها من أدوات المكاتب المغلقة.

فهل يحصد صديقي جزاء كفاحه في الدنيا وكل ذنبه أنه وقع في هوى من تعلوه أو " يبدو " أنها تعلوه اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو تعليميًا ؟!!

ربما ....

ياااااااه!!!اليوم كان من أسعد مغامراتي على الإطلاق. سقطت في بلد جميل نظيف هواءه نقي نسبيًا يحافظ أهله على نظافه بلدهم كنظافتهم الشخصية ومن أسس ثقافتهم وبديهاتها هو الحفاظ قدر الإمكان على نظافة بيوتهم وخارج بيوتهم ونظافتهم الشخصية أيضًا . وجدتهم يعتبرون أكثر الخطايا إثارة لنقدهم هي القذارة وإلقاء قمامة في أراضي شوارعهم وإذا كان الشخص لا يستحم يوميًا فهو يقع في نفس مرتبة الكفار في نظرهم كما وجدتهم يحافظون على المياه و يكادوا يقدسونها تقديسًا ..

ونحن حبات التراب نعيش كأقلية في تلك البلاد ورغم ذلك لا نشعر بالغربة ونشعر بالهدوء بين عالم حبات التراب فلا يوجد زحام بيننا و كل يعيش مرتاحًا لا يزاحمه أحد من زملاءه حبات التراب ....

وجدت الفقراء منهم ليسوا سعداء ولكنهم غير عابئين بمستواهم المعيشي فهم يتقنون عملهم و يعملون بكد واجتهاد ويعاملون الله في تعاملاتهم إذا كانوا حرفيين أو تجارًا ويربون أولادهم على تلك الثقافة والأيدولوجية،حتى غير المتعلم منهم يثقف نفسه دائمًا فالمكتبات المجانية متوفرة في كل مكان والكتب رخيصة الثمن،متحضرون هادئون كاظمون الغيظ

ينطبق عليهم الآية الكريمة : " أغنياء من التعفف ".

دؤوبون فى المطالبة بالحقوق متفقون ومتحدون على المصلحة العامة إذا رأوا راشٍ قاطعوه واتفقوا على ألا يقوموا بتشجيع الراشي بل إذا كانت لديهم حاجة اتحدوا و كشفوا الفساد من أجلهم ومن أجل غيرهم..

الفقير منهم و المعدم حريص على نفسه وعلى صحته وعلى ماحوله يحترم خصوصية الآخرين، يحترم النساء ، يحرص على إنجاب جيل صحي وله آفاق جيدة فهو لا ينجب أطفالا كثيرة لا يحظون بأي شيء سوى أنهم أبناء فلان بلا ظروف معيشية جيدة ولا تعليم جيد ولا صحة جيدة ...

الغني منهم عصامي،يعطي المحتاج -الذي بدوره يستعفف عن السؤال .

تلك البلد التي سقط فيها بالصدفة لم أجد شحاذًا ولا متسولاً فالكل يعمل ويجد و المنافسة حامية الوطيس في إظهار الكفاءة في العمل وشهوة التعلم عالية عند أصحاب تلك البلد لأن الأمل يعلوهم و العزيمة حديدية لا يفلها أي عنصر فاسد أو ظرف سلبي ..

لم أرَ شخصًا يمتهن مهنة غير شريفة أو غير جديرة بالاحترام لأن كل أصحاب المهن يقدرون ويحبون عملهم ولا يوجد حقد طبقي لأن في أيدلوجيات هؤلاء الناس العامل والصانع هما

عصب الحياة والطبقة العاملة بأيديها هي رأس مال المجتمع وثروته وهم الحاصلون على أعلى الرواتب وأعلى نسبة من التأمين الصحي و الاجتماعي في الحكومة...

في تلك البلاد الممنوع ممنوع بأمر الحكومة و بقناعة الأفراد فالكل يخاف من بناء دورًا في بناية أو تحويل أرضًا زراعية إلى أرض بنايات فتلك مناطق محرمة أيما التحريم عند أصحاب تلك البلاد.. ومن يجرؤ على ارتكاب تلك الكبائر يقدمونه الأهالي إلى جهاز الشرطة وأمن الدولة العليا المستقلان عن الحكومة.. كما يدينه المجلس الكنسي المستقل أيضًا والمجلس الشرعي المستقل أيضًا ويحدث هذا هزة فى الرأي العام ...

الشوارع في تلك البلاد منتظمة ففي كل حي مرافقه وناديه و مجلسه القومي الفيدرالي المنتخب و المواصلات عددها محدد في كل حي وتأتي في مواعيد محددة كالساعة فالوقت عند أصحاب هذه البلد الجميل -ذات الحضارة العريقة - يكاد يصل إلى مرتبة التقديس فالعمل في المصالح الحكومية و جميع الشركات بالساعه الإلكترونية الموصلة بجهاز الكمبيوتر الموجود فى كل ركن في البلد لا عندما يخرج الموظف من مكتبه يقوم بإدخال شفرة على الجهاز حتى يتم فتح باب مكتبه و يقوم الحاسب بحصر عدد ساعات العمل التي جلس عليها الموظف فعليًا على مكتبه وهو نظام معمول به ومتفق عليه بين جميع

أبناء البلد حتى المعلمين في المدارس يعملون بهذا النظام.

في تلك البلاد فى كل مدينة نشاطًا معينًا تشتهر به ولا يفكر أهل المدينة في الهجرة منها أبدًا فكل مدينة يقدسها ابناؤها ولها من مصادر الثروة مايكفي ابناءها .

الحكومة فى تلك البلاد بعد أن شاركت - بقوة وإيجابية فى تحرير البلاد التي تجاورها اقتصاديًا وفعليًا و سياسيًا، التفتت إلى تنمية موارد بلادها و مطاردة أي بوادر فساد كطارد الناموس عند الآدميين.

الصحافة فى تلك البلاد حرة تمامًا ووسائل الإعلام مستقلة عن الحكومة تمامًا و المجلس الأعلى للصحافة مستقل و رئيسه منتخب من الصحفيين....

آآآآه !!! ماهذا ؟ أين أنا ؟ أكل هذا كان حلمًا...ياله من حلم جميل؟؟؟ لماذا صحوت ؟ لماذا استيقظت ...

دعوني أكمل حلمي الجميل

أفقت من الحلم الجميل في المغامرة السابقة على مغامرة أعيتني وتركت آثارًا سيئة وعميقة في ذاكرتي التي باتت تتحمل أكثر مما تحتمل....

مغامرتي هذه كدت أقابل الموت وجها لوجه أكثر من مرة، رفقاء مغامرتي منهم من صمد ومنهم من توفاه الله ولم يحتمل حياته أكثر من هذا فمات على أعتاب بلاده متجمدا ومقهورا ومريضًا ....

هي مركب يظن ركابها أنها سفينة نوح المخلصة والمكتسحة -على حد ظنهم – لماضي محزن محبط لبلد تبكي على أولادها الفارين...

كل منهم يركب حاملاً هموم الوطن وهمومه الشخصية، بائعًا كل غالٍ وثمين حتى يهرب من وطنه الذي حمل ضحكاته وأحزانه وإحباطاته وقصص حبه الفاشلة وتغيراته وتغيرات مبادئه وهروب سذاجته وفطرته الطيبة أحيانًا منه..

المركب تضم عشرة أشخاص شبابًا في العشرينيات من العمر من جميع أرجاء مصر ، منهم الحرفي ومنهم الريفي والصعيدي والسكندري وابن القناة التي - كما حكت لي جدتي الحاجة حبة تراب- أن تلك القناة بنيت على دماء

وأرواح مصريين بالسخرة...

منهم أيضًا القاهري والجيزاوي،،،عجبًا!!!حتى المدن الكبيرة تطرد أولادها..

ركب كل منهم مودعا أهله ومقبلا على مجهول - أيًا كان هذا المجهول- فهو سيتحمله فواقعه أشد مرارة من واقع نظيره في بلد آخر...أو هكذا يظن.

أحدهم تقلب في عدة وظائف رخيصة زهيدة حتى يدخر مبلغًا من المال ليعطيه لآخر يعمل مهربًا للجثث....أقصد للأشخاص خارج أوطانهم ليوصلهم لسمسار آخر ببلد آخر يعمل بنفس المهنة...وبدلا من أن يعمل على زيادة مدخراته لتأسيس أسرة وبيت جديد وينعم بدفء الوطن ، كان هدف الهجرة يملأ كل أحلامه...

لا أدري هل أتعاطف مع ظروفه أم أقول عليه "طماع" كما أطلق عليه الشيخ الأكبر لوطنه...

ربما تمتليء أحلامهم جميعًا بأرض الأحلام حيث فرص العمل ومراعاة حقوق الإنسان وجنة المساواة على أرضه بالإضافة إلى زوجة شقراء جميلة وأولاد يجمعون بين عذوبة الملامح المصرية وألوان الحضارة الغربية ومقاس خصرها....

هذا أحدهم:هارب من اضطهاد ديني وضيق ذات

اليد...يري في الهجرة خلاصًا له من تمييز ديني واضح وصار يتضح له أكثر وأكثر ، رغم أنني أرى أن الآخرين يختلفون عنه في الدين ويعانون من نفس ذات الظروف التي طردته...

أحدهم هارب للمرة الثالثة على التوالي بعد ثلاث مرات فاشلة .كل مرة يفشل في الهرب إلى أرض الاحلام يعود ليدخر مالاً أكثر ويقترض مالاً يتحمل سداده أهله من أجل الهروب مرة أخرى وكأن شعاره "لا يأس مع الهروب ولا هروب مع اليأس"....

أحد ركاب سفينة نوح –هكذا سميتها أعذروني– هاربًا من تجنيد عسكري يعتقد أنه يعوق أحلامه ، تخرج متفوقًا من كليته العملية وحلم بتدريس ما تفوق فيه للأجيال المستقبلية الملتحقة بكليته ولكن، يأبى أستاذه أن يحقق حلمه فيعين ولده ليأخذ مكانه....

ياربي!!!! هل الوظائف ميراثًا ؟؟؟هل يحول البشر الخير إلى شر بتلك السهولة؟؟؟

وهذا آخر هرب بإمكاناته المادية المحدودة من الوطن الذي شهد ضياع حبه وتزوج الحبيبة من آخر جاهز ماديًا يفوقه حجمًا وسنًا ومالاً...وقد كان يعيش حياته على أساس أن من جد وجد ، فاكتشف مع الوقت أن من جد لن يجد كثيرًا ...

بدأت الرحلة من التسلل عبر أوطان كثيرة للوصول إلى أرض الأحلام ، على كل منهم أن يمتطوا مركبًا مخصصا للصيد من مرسي مطروح إلى ليبيا وصولاً إلى إيطاليا...

هناك تم تخزينهم مثل السلع الغذائية حتى يقرر سمسارًا آخر للأجساد المهاجرة متى يتم الهروب الكبير من إيطاليا إلى أرض الأحلام ...الدولة العظمي.

مرت الرحلة علينا جميعًا –رغم هلعي من المياه التي تحولني إلى طميا وتكاد تفتك بي- غير أنني قررت أن أخوض المغامرة تعاطفًا مع أولادي (نعم هكذا شعرت بالأمومة نحوهم وهل شعور الأمومة حكرا على البشر والحيوانات فقط؟؟!!)

بدأت الرحلة بعشر وانتهت بسبع ناجين ،صامدين ومرضي فسيولوجيا ونفسيًا ...

السكندري الهارب للمرة الثالثة أصيب في منتصف الطريق من مرسي مطروح إلى ليبيا بحمى غريبة ولم تفلح محاولات خفض حرارة جسده،كما لم تفلح محاولات خفض حرارة حماسه للهروب وكأن هناك ثأرًا يدفعه حتى استشهد أمامنا جميعًا وهو يوصينا بأن يدفن في بلده....

ياربي!!! لم يكن يريد أن يعيش في وطنه وإذ به يتمنى الدفن

فيه...!!

تأثرت نفسيًا وتأثر الجميع خصوصًا حينما خشوا تحلل جسده ونحن في عرض البحر فكان دفنه ليس كما وصى بل كان مرقده الأخير في ظلمات البحر ....و...وربما التهمه السمك....آآآه يا أولادي!!!!

أهوال العيش على مركب متواضعة بل فقيرة الإمكانات و غير آمنة على الإطلاق وأنا أتنقل بين كتف هذا وذاك خوفًا من مياه قادمة تميتني - كانت لا توصف ...

نفدت مواد الغذاء وصاروا يتعاطون السمك نيئا ، حتى أصيب اثنان منهما بداء الإسهال..

وحينما لم يكن هناك منفذًا طبيعيًا لمخلفات ركاب سفينة نوح فقد كانت الظروف سيئة إلى درجة لا أستطيع وصفها حتى لا أؤذي مشاعركم ...

لكم أن تتخيلوا مايحدث...

شهيدًا آخراً استشهد في مياه ليبيا وساد الهلع أن يكون الشهيد كان مصابًا بمرض التيفويد والخوف من إصابتنا بالعدوى كان أكبر من حزننا على الشهيد الثاني.

الحزن صار قزمًا وكأن كثرة الأهوال تغلظ قلوب البشر وتزيد جلودهم سمكا ولكنني أقسم بربي!!! أن حزني كان أكبر من كل قلوب البشر على هذين الشابين الشهيدين...

وصلنا إلى إيطاليا بعد كل تلك الأهوال ليلقوا المؤن القليلة حتى تصارعوا جميعًا على الغذاء المتاح وكانت كثورة الجياع وبات الجميع ليلتهم في علبة السردين...أقصد في المخزن الحديدي الضيق ، باتوا وفي القلوب هموم وفي البطون الفتات وفي الروح خوف وهلع وحزن من هول الرحلة.

ولكن جاءت شمس الصباح بشهيد آخر والاضطرار لدفنه أو بالأحرى مواراته ثرى الغابة المحيطة بالمخزن الذي تم تخزيننا في غياهبه تحت إصرار سمسار الأبدان المهاجرة حتى لا ينكشف الامر....

آآآآآآه يا مصر !!!! أشعر أنها تبكي الآن كما لم تبك من قبل.....

انتهت الرحلة بالعودة مرة أخرى إلى الوطن الطارد لأولاده لأن السلطات الإيطالية كشفت الأمر واختفى سمسار الأبدان.. بعد المكوث في مبنى للإغاثة للعلاج تم الترحيل للوطن مرة أخرى لنبدأ رحلة العودة مرة أخرى ....

وكأن الهروب منك يا مصر وإليك....

آآآآه يا ولادي.

-١٧-

ماهذا ؟ ياربي!!!! مالذي وقعت فيه؟

اليوم كان الجو عاصفاً قليلا والرياح نقلتني كثيرًا وسريعًا... استقريت على مكان بغيض...لا فرار من ذلك.

لابد و الها مغامرة اليوم وأمري إلى الله....

أقف على سطح زجاجي،بداخله مياه ساخنة أشعر بسخونتها جيدًا تتحرك بسرعة وكأن شخصًا ينفخ فيها، ربما كان الشيطان ينفخ فيها ليغوي المزيد والمزيد من البشر... السطح الزجاجي يمتد بطول مبني ضخم رفيع الشكل بالنسبة لي ولكنه يصل إلى طول ساق آدمية. يمتد البرج الزجاجي وفي أعلاه شيئًا يحترق ، فحما يحترق ويتصاعد منه دخانًا كثيفًا يكاد يحرق صدري الهش جدًا.

ياربي !!! إنه أحد البشر يحرق صدره بمحض إرادته التي خلقها الله له. يخرج من البرج الزجاجي خرطوما طويلا يمتد في النهاية طويلا ليصل إلى فم أحد بني آدم...

عجبا !!! لماذا هو شغوف هذا الآدمي بحرق صدره ؟ تري ماذا يحرق؟ مالذي يحمله في قلبه ليكون شغوفا بحرق صحته وصدره معه؟.. إلهم كثيرون، أري رؤوسًا كثيرة قد طواها حب هذا البرج الزجاجي. أري تجمعات بشرية كبيرة ذكورية

وأنثوية يسيطر عليها هذا الخرطوم ويغلف أفواههم مطلقين دخانا كثيفًا ليعطي غبارًا يغطي واقعهم المرير ربما أو واقعهم الذي لا يريدون رؤيته بوضوح.

أرى الشفاة تمتد لتقبل هذا الخرطوم ذو المبسم والعيون تضيق تكيفًا بما يحرقون ونشوة وتكيفًا بما يتنفسونه ، هل خلق الله الدخان ليداوي به البشر ؟ ياربي ألا يستطيع الإنسان أن يبتعد عن أي من أدوات النار (الذنوب -الدخان - النار - جهنم) حقا صدق ربي حينما قال " إن عذابها كان غرامًا...."

تري ماذا لو قامت الساعة في تلك اللحظة ؟ هل سيحشر هؤلاء البشر وهم ممسكين لتلك الابراج الزجاجية ذات المياة الثائرة التي تتنفس جمرًا داخل البرج الزجاجي؟؟

لم أرَ شيطانًا يدخن؟ لم أرَ حمارًا يدخن؟ فلماذا يفعلها الإنسان ذلك؟

لقد خلق الله العقل ليحل مشكلات الإنسان لا ليخترع شيئًا يحرق به نفسه ومشكلاته وشقاءه وأمواله .

تري ماذا توصل تلك المياة المتفجرة كالبراكين تحت الثرى إلى دماغ الآدمي ؟ هل يحلق به عاليًا في سماء الخيال وبدونها لن يصل ؟

فالعديد من الكتاب المبدعين الآدميين يدمنون تلك الأبراج الزجاجية المدخنة مفرزين ابداعات فنية عظيمة . ياربي ما

أشقي الإنسان يتخيل أن تلك الأبراج هي السبب في إبداع المبدعين ولا يحيل ذلك إلى الموهبة أو إلى العقل !!! يخيل إلي أحيانًا أن علاقة الإنسان بعقله علاقة شائكة.

فهو يتجاهل عقله كثيرًا ولا يعطيه لغيره رغم ذلك...!

أرى بشرًا من جميع الطبقات الاجتماعية يمسكون بتلك الابراج بشغف ، ويتهيأ لهم أنهم بدونها ستكون الرأس في حالة عدم توازن؟؟؟

هل ستعيد تلك الأبراج المدخنة التوازن النفسي و المعنوي للبشري أم تعيده لتعود وتقلبه بعد ساعات قليلة؟؟

أما هو فيهرب من هموم فقره وعجزه النفسي والاجتماعي ليضاجع هذا البرج الزجاجي الدخاني . يأتي من عمله الفقير الإمكانات المليء بالإحباطات والنميمة والأحقاد ليبث غرامه بالحياة الشقية إلي الدخان...

يجلس على المقهي فلا يراع حق الطريق وتعطيه " الشيشة " نظرة تأملية شيطانية الإبداع وربما شيطانية الرغبات أيضًا لتتعانق شياطين الإنس و الجن أمامه فيسرد أغانٍ وشعرًا يبقي شعره حبيس الأوراق وتنطلق أغانيه لحناجر المطربين " الشعبيين" وكأن البشر يصنفون المطربين إلي شعبيين وغير ذلك....!

يؤمن صديقي الشاعر بأنه دون " الشيشة " لا يقوى على الإمساك بالقلم وأن شقيقة الشيشة الصغري أبدًا لا تحل محلها في مخيلته وعقله.

كل آن وآخر يأتي مندوبًا عن مطرب ما ليستلم ما أفرزه عقله ويستنم أموالاً طائلة في المقابل...

ليحرق نسبة من تلك الاموال في البرج الزجاجي المحترق...ثم يتفرغ هو لشعر من نوع آخر....

وكأن الشاعر المدخن بشراهه يعمل بالأغاني ليقتات من أجرها ثم يعود ليجلي عقله جيدًا مفرزًا شعرًا جميلاً بعضه رومانسيًا وأغلبه سياسيًا ومنه اجتماعيًا .

مكبل هو بالتزاماته الحياتية من وراء تلك الأغاني التي تناسب الذوق العام، ثم يعود لينفرد بحبيته الحقيقية..... وهي الشعر الذي لا يجلب أموالا..

جلسته المفضلة مع أشعاره وللأسف مع هذا البرج العاجي..

خسارة هذا العقل وتلك الأحاسيس الشاعرية !!!

خسارة هذا المشهد البديع :

جلسة الشاعرية مع أحد المشروبات المنبهة والغرفة المطلة

على القاهره من برج عالٍ متلقي النسيم العليل بنافذتين وغرفة شبه مستديرة وابنة صغيرة لاتزل تحبو ، وتخطو خطواتها الأولى في الحياة وبداية عهدها بالسير كان منذ أيام لتكتشف تلك الحياة المحيرة ويراقبها أبوها الشاعر متأملاً وفي فمه خرطومًا موصلا لنيران مزاجه وناره ودخانه . لابد لها وأن تحصل رغمًا عنها على نصيب من الدخان الذي يحرقه والدها...

خسارة تلك الجلسة المثالية ، فتقريبًا فكل عنصر في الصورة التي وصفتها لكم تقريبا يستحق الرسم ولا يشوه تلك الصورة سوى هذا الدخان الذي تتلقي بضعًا منه الصغيرة صاحبة الرئة الرقيقة التي ما إن تخطو خطواتها الأولى في حياتها لتكتشف وتمتص الدخان كإنذار لها بالحياة التي ستعيشها....

أترك صديقي الشاعر يعيش حياتين مع شعره الحقيقي وأغانيه البسيطة الشعبية ولا يفارقه دخانه إلا عند قبره ، فأفارقه أنا وأكاد أختنق مما تلقيته من دخان برجه الزجاجي الناري...

-١٨-

سمعت أحد البشر يقول " الكرة أفيون الشعوب " ....

غريبة!! وسمعت آخر يرد عليه " الدين أفيون الشعوب "..

ياله من شقي عقل بني آدم !!!

بعد مغامرتي اليوم ستعرفون فعلاً أن رياضة كرة القدم قد تكون أفيون الشعوب أو من ضمن عناصر الأفيون ولكن الدين ليس أفيونًا قدر ما هو عنصرًا هامًا يبني ويغرس في روح الإنسان ليعينه على فتن الحياة وشقاء الإنسان وطموحاته.. الدين ليس مخدرًا بقدر ما هو فيتامين يعين الإنسان...هذا رأيي المتواضع

جلبتني الرياح على أرض خضراء واسعة شاسعة حتى ظننت أنني هبطت على قطعة أرض بجنة الفردوس...

لكنني أفقت على زئير جماهير غفيرة فأدركت أن جنة الفردوس لا يمكن أن تكون بهذا الزحام..وجدت شبابًا كثيرين يركضون وراء كرة مستديرة يطاردونها في حماس محموم وكأنها رمزًا لمال أو أنثى أو سلطة....

كلما زأرت الجماهير كلما ازداد حماس اللاعبين...

وجدت الفرحة تزيد عن تقريبًا نصف تلك الجماهير تبتهج بمرح وفرح خارق للعادة حينما تدخل تلك الساحرة المستديرة في الشباك مما يرمز إلي نجاح الصيد...

في البداية تخيلت أن هؤلاء البشر يمثلون مسرحية وأن الكرة المستديرة ترمز إلى شيء ثمين درامي عميق المغزى...

وحينما وجدت أنهم جميعًا من الرجال حتى من يقفون يراقبوهم على أعتاب المساحة الخضراء ففهمت أن الكرة ترمز إلى الأنثى وساعدني في ذلك أنها مستديرة كأقداد النساء المياسة التي تطوي رؤوس الذكور كثيرًا كما لاحظت...

لكنني غيرت رأيي حينما وجدت حماسًا خارق للعادة من الجماهير التي تراقب تلك المسرحية ، فوجدت من يتابع بشغف حتى ظننت أنه إذا ما أدركه ملاك الموت لن يلتفت له بل سيرجوه أن يمهله حتى تنتهي المسرحية ...

حينما تناور الأنثى المستديرة للدخول إلى الشباك ينهار الجميع وبعضهم ينفعل انفعالاً شديدًا ويطلق سبابًا ويأتي بحركات انفعالية شديدة.

كما وجدت أن من يخرج من المسرحية حزينًا كل الحزن ربما تعتل صحته وربما يصب جام غضبه على إناس أو أشياء... وقد يتحول إلى عنصر مخرب في مجتمعه...

إذن،هي ليست مسرحية ولا يوجد رمز أو ربما هي مسرحية صدقها المتفرجون على مدى التاريخ لتصير جزءًا هامًا من حياتهم...

أرى القلق يسيطر على الجميع،من يلعب، من يراقب خارج المساحة الخضراء

أرى من يتفرج يري فيما يحدث من جرى مستمرًا وراء الساحرة المستديرة رمزًا لما يحدث له فاذا تم إحراز هدفًا وهو إدخال المستديرة في الشباك يشعر بنجاح عظيم بحياته و سبقٍ لم يسبقه اليه أحد....

أذكر أنه حينما كان بعض من يجرون وراء تلك الكرة ينتمون لدولة عظمي (تنبع عظمتها من استعمارها لأراضٍ بعيدة غير مكتشفة والقضاء على سكانها الأصليين) وكان من ينافسهم في الركض وراء الساحرة المستديرة ينتمون لبلد إسلامي قوي ومعارض لسياسات الدول العظمى فانتصر الطرف الثاني،فرح العالم بأسره وشعر بعدالة السماء رغم أنها مسرحية ......أقصد لعبة كما أدركت فيم بعد.

رأ ى العالم في هذا الانتصار انتصارًا معنويًا يتمنونه دائمًا في الحياة السياسية الواقعية وفوزا على كيانات استعمارية لم تنس الشعوب تاريخها الدموي القاسي....

أما الآن أراقب مشاهدي تلك اللعبة الذين يرون في تلك اللعبة نجاحًا يعوض فشلهم في النجاح في الحياة الواقعية أو إحرازًا لأهداف في الحياة ...

يركض الشاب اللاعب وراء الكرة ووراءه تركض أحلام جماهير نجاحه من نجاحهم وإذا لم ينجح في اصطياد الكرة لن يتمكن أي منهم من إكمال الناقص في حياتهم والكامن في إدراكهم ولاشعورهم .....

يجري حاملاً في ساقيه التي صارت تتكلف كثيرًا من الأموال هموم سكان لوطن صار يطرد سكانه معنويًا وماديًا إذ جميعهم يرون في الوطن بشر وليس مكانًا ثابتًا البشر فيه متغيرون وهو ثابت على مدى الأزمنة.....

يراقب المشاهد الكرة تدخل الشباك بكل اللهفة التي في الدنيا:

من أجل أن يتزوج من حبيبة العمر في شقة صغيرة حلوة.

من أجل أن يعمل عملا يحبه ويلائم مؤهله وإمكاناته.

من أجل أن يتمكن الطالب من إحراز هدفًا في الالتحاق بتعليم جامعي يرغبه رغم كل التعقيدات غير المنطقية التي تحول دون تعليمه الجامعة.

من أجل أن يعمل بوظيفة تعزز طموحه وإبداعه بدون

أحقاد بدون غيمة...

من أجل أن يمارس الهاوي هوايته بإبداع أكثر....

من أجل أن يشارك الشاب في عمل سياسي ويمارس اختياراته السياسية بحرية وصدق ويشعر بتلاحمه بقوى الشعب ووعيهم في محل آخر غير أوتوبيس النقل العام....

كل تلك الأهداف تدخل مع دخول الكرة إلى الشباك...

وإذا ناورت و لم تدخل ، يشعر المشاهدون بصعوبة تحقيق انتصاراتهم و أهدافهم...

ومالا يحققونه في اللعب ربما لن يحققونه في أي مجال آخر...

هيييييييييييييييه!!!!!

هدددددددف......أعذروني فقد أخذني الحماس وبما أنني حبة تراب مصرية فلن أخفي انحيازي لمن ينتمون إلي حبات ترابي وحبات تراب أجدادي...

سمعت اليوم مجادلة بين امرأتين أحزنتني قدر ما أعطتني إشارة بأنه ربما سيكون هناك صحوة أو يقظة قادمة فقد علمتني الحياة ومغامراتي في دنيا البشر أن في المواجهة إدراك للمشكلات وحلها...

المرأة الاولى "عربية"-هكذا اسمها،والمرأة الأخرى "مصرية " وهذا اسمها أيضًا...

لا أعرف العلاقة بينهما هل الأولى والدة الثانية أم شقيقتها الصغري أم أنهما صديقتان متقاربتان جدًا وكانتا في الماضي متقاربتين أكثر مما هم الآن؟هل صارتا عدوتين أم فقط بردت العلاقة ؟!!! لا أعلم.

عربية: مرحبًا بالتي باعت عروبتها من قبل وتسالمت مع عدوي وتركت حق اخواتها وأولادي في سبيل أن تأخذ نصيبها هي فقط من التورتة...

مصرية : الله يسامحك،كعهدك دائمًا تظلميني أنت وأولادك وتزايدين علي ، قاطعتوني ولمتني في ما تسعون إليه سعيًا محمومًا الآن....

عربية : نحن لم نعترف بكيانًا طفيليًا أدخل نفسه قهرًا

وغصبًا بيننا و يسرق يوميا خيرات

أولادي والأماكن المقدسة التي تنتمي إلينا وإليك ....

مصرية : (باكية) كان هذا مقابل أن نسترد جزءًا من حقنا وكنت أعتقد أنكم قادرون على أن تكملوا ما بدأته... أحد أولادي اتخذ القرار الجريء ولكن عواقبه لم يدركها حينها ولكنني ....

عربية (مقاطعة) : كيف نكمل بتلك القيود،لقد كبلوكي وأنتِ أفضل أولادي وكبيرة عائلتنا ، نصيبك من التورتة مقابل أن تصمتي للأبد عن نهب أخواتك واضطهادهم...

مصرية : (تبكي وتغلب دموعها على كلماتها)لست خائنة، كانت لدي طموح وأنتم جميعًا جزء مني ولن أقوى على الانفصال عنكم ...

عربية :نعم،نعم، لهذا تقدمت نحو أعداءنا وتركتينا جميعًا...

مصرية : (تلوح بوجهها بعيدًا) كان ولدي طموحًا ...

عربية : كان يريد أن يأخذ أي شيء ، يربح أي شيء مهما كان الثمن و لم يدرك الثمن بل ترك أولاده يدفعون الثمن...

مصرية:كان لديه وجهة نظر واتضح بعد ذلك أنها خاطئة...

عربية : ومن قال له أن يخوض التجربة،لماذا يترك هكذا دون محاسبة ؟ ومن طلب منه أن ينوب عنا ؟ لماذا لم تحاسبيه؟

مصرية: وكيف كنا سنسترد حقنا ؟

عربية: بالجهاد والمقاومة، ألا تؤمنين أنه فرض عين على كل مسلم...

مصرية : ابني لم يحسبها كذلك و لم يأخذ مشورة أحد...

عربية : أعلم ذلك، وأفضل ابناءك دكتاتور أكثر منه ولكن لديه مبادىء ، يحافظ على عائلته ، حافظ علي وعليك وعلى أولادك جيدًا ولكنه ....

مصرية : لا تذكريني بما حدث، هزم ومات على جواده...

جعلت أتنقل بين كتف المرأتين وكل منهما تبكي حينًا وتبتسم حينًا ، يبدو أن كلا منهما مملؤتان بالأحزان....

عربية : لقد تفكك أولادي منذ مسالمتك المزيفة ، وسالت دماء أولادي وأولاد أولادي و أشقائي وأولادهم بسببك...

مصرية (تلوح وجهها بعيدًا وهي تبكي) : بسببي أنا ؟

عربية : طبعًا ..... أنتِ أعطيت إشارة البدء .

قبل مسالمتك مع عدونا كان مجرد الكلام عن حوار معه

تعتبر كبيرة من الكبائر الآن صرنا..... (مغالبة دموعها) صرنا نتحدث عن تطبيع وتطويع ومسالمة الحياة بيننا وبين عدونا....

مصرية : صامتة

عربية:صمتك وكلامك يؤثر فينا .....كلامك موحي لنا، صمتك يخرسنا،نداءك يحيينا وقوميتك تبعث الشباب إلى شيخوختنا .... ألا تعرفي ماذا تعنيه لنا؟؟؟!!!

مصرية: لازلت المفضلة لك،لازلت تصليني وتزويني وتحبين طعامي والأماكن التي أذهب بك إليها،حتى لهجتي تحبينها...

عربية: كل تلك العناصر مكملة لدورك وقيمتك عندي ولدى عائلتك وأولادي أحببناها لأنها منك وإذا كنت تسالمين أعداءنا وتتقوقعين على ذاتك وشؤنك وترسلين أولادك خارج بيتك لشحذ الاموال وربما بالاحتيال،كل هذا يجعل لهجتك سوقية ويجعل أولادك من النصابين ذوي الدم الخفيف ،ويجعل تقوقعك عنصر ضعف لنا ...

مصرية : أولادك يتبارون ليأخذوا دوري،يريدون أن يرثوني ولن يستطيعوا،والجار المسلم القوي المعتمد على أمواله وأسلحته النووية الخطيرة والذي يريد صهرنا،يريد أن يكون واحد مننا...

عربية (مقاطعة) : ومالمانع ؟ لا أرى مانعًا إنه رجل قوي ،

إنه حماية لنا إنه يخيف أعداءنا،رجل ذو نفوذ....للأسف يختلف أولادي على نسبه وقبوله ضمن العائلة..

مصرية:نعم،إنه لا يناسبنا وهناك ثأرًا قديما بيننا في الماضي ، ألا تذكرينه ؟؟؟

عربية : وماذا عن العدو نفسه ؟ أهو يناسبنا،ألا يوجد ثأرًا يجمعنا به،تريدين نسيان ماذا فعل وماذا يفعل و لم يزل ولن يتورع في فعل أي شيء ويداه اليمني في يديك واليسري يقتل ويسفك بها أولاد شقيقتك....

مصرية : أسالم ولا أستسلم ولن أصمت على ما يمس أولادي وأولاد أخوتي ،وإذا كنت عقدت هدنة وتسويات فهذا لسلامة أولادي الذين هم أغلى ما عندي و لم أقصد غير ذلك، وإذا مس أي مكروه سيخرج المارد واتق شر الحليم إذا غضب....

عربية : ماذا تنتظرين بعد سفك دماء أولاد شقيقتك الغالية وخراب ودمار شقيقتك الأخرى وتشتيتها ونهب بيتها وبرعاية السيدة الكبيرة التي تثقين بها ؟ ماذا سيغضبك بعد أن ضربتك من ائتمنتها ضربات تحت الحزام وعندما تواجهينها تنكر كاذبة؟؟؟ماذا بعد ؟؟؟

مصرية : لا أتدخل في بيوت أخوتي وشؤونهم الداخلية وكلما تدخلت،تغضب زوجاتهم (حكوماتهم) من تدخلي...

كلنا في الهواء سواء....

فأرجوك لا تلوميني...

عربية : لا تلوميني أنتِ،

وأنا —حبة التراب— أقول أن الهموم قد زحفت بل وغشيتهما ....

وجدت طوفانًا من عائلتي وكل معارفي من حبات التراب قد زحفتا على المرأتين ، كثير من بني جنسي لم أرهما من قبل أتوا فجأة....كانت لحظات جميلة...تعارفنا واسترجعنا الذكريات ، ولكني سرعان ما تضايقت من أن حبات التراب من أحبائي وأصدقائي قد أدى زحفهما إلى كتم صوت المرأتين اللتين نسيا من حولهما في خضم الجدال والنقاش الحاد.....

ظلتا تتجادلان وتتناقشان دون فعل شيء آخر....

-٢٠-

جرفني التيار بعيدًا حيث مناطق تجمعاتنا نحن حبات التراب....

أقف مع حبات التراب من زملائي نتحدث ونتسامر ونتضاحك مثلما كنا نفعل عندما نجتمع على شيء أو في مكان يعتبره بني البشر " مكان موحش " يعتبر بالنسبة لنا حفلة أو مهرجانًا كما يطلق عليه في عالم بني آدم...نقف على حافة مستديرة مائلة،أحيانًا تديرها الرياح الشديدة لنصرخ ولا أحد يسمعنا

ولكنني أود حقًا الصراخ حينما أدركت أنني أقف على قلم، نعم قلمًا مهجورًا هجره صاحبه لأسباب غير معلومة بالنسبة لإدراكي كحبة تراب متواضعة ...

نظرت حولي وبحثت كثيرًا طفت وغطست واختفيت من " الحفلة " لأعود بالخبر الحزين .

إن القلم يخص أحد الكتاب أو الصحفيين الموقوف قلمهم.. لقد لاحظت أن في عالم البشر الكلمة تغير أحيانًا مصائر وتوضح مواقف وتكشف غموض ما يلتبس على الناس، الكلمة رصاصة بل أقوى، هي سلاح لا يجرز ولا يرى بالعين...

تزعج الأقلام الكثير من البشر ، الكلمات يعتبرونها تهديدًا رغم أنها مجرد كلمات ربما لأنهم يؤمنون بقدراتها ...

ولكنني أتساءل رغم كل هذا لماذا يعتقل الرأي وتسجن الأفكار معي ونحن نقف على حافة القلم؟ ربما يكون صاحب القلم أراد خيرًا وحتى وإن أخطأ أتكون النتيجة إيقاف الحياة في هذا القلم؟

لو أمرت بأن أقدس غير الله لقدست القلم ومايصنعه.. صحيح أن بعض مرضى القلوب يؤجرونه " مفروش وإيجار جديد " -كما يصطلح البشر على مساكنهم- ولكن صاحب القلم هو المسؤول وللعقول التي تتلقى مسؤولة عما تصدقه....

مممم... أعلم أن قلة الوعي وفراغ العقول يؤدي بها أن تمتليء بما تلقيه الأقلام فيها...

أنضيف إلى جرائم البشر جريمة سجن القلم؟ ياربي !! أيعتقلون القلم ويسجنون الحروف ويوقفوا الأحبار من أن تسيل لتكشف وربما لتنير وربما لترهب أحيانًا ...كما رأت زميلتي مرة فى بلد من بلاد البشر دبابة تقف أمام طفلاً في يديه حجرًا ، يقف القلم في وجه مؤسسات و فساد تعاظم مع الأيام حتى وإن وقفت بعض الأقلام الأخرى لتحمي و تهدهد الفساد فهناك أقلامًا تكافحه و تعريه...

حكت لي عمتي الكبيرة –رحمها الله – أن في بلد ما في الماضي أشاع القلم انتصارًا زائفًا هو في الحقيقة هزيمة مفجعة.... أتتخيلوا ماذا يفعل البشر بقلم ...؟!!!

أستطيع أن أقول أن القلم الشريف في عالم البشر هو من يعطل بأمر ميري أو ملكي أحيانًا،ليس عن كسل أو انتظارًا لمال بل عطل وتم إيقافه بالقوة الجبرية.

القلم يلعب دورًا كبيرًا في حياة البشر، يسجلون به كل تفاصيل حياتهم ، به ينسب الأولاد لأبيهم وبه يقترن الأحباء من الذكور و الإناث ، وبه يبرأ بعضهم زورًا أو حقًا .

يزيح آدمي من منصبه و ينصب آدمي على كرسي جديد، كثير من البشر يعشقونه حتى الثمالة.

توثق به أحيانًا –بأمر الله– حياة أو موت البشر ، يكون صديقًا وونيسًا و مواسيًا لشخص.

ترى لماذا هجره صاحب القلم؟حتى وإن أوقفوه لن يستطيعوا مسك يديه من الكتابة.

لن تقوى أياديهم المرتعشة – من تأثيره– التي أمسكت بقلمًا آخر لإيقاف هذا القلم أن توقف جميع الأقلام،لن تحبس الأفكار فهي كالهواء ومن يقبض على الهواء؟؟

إن تهمة الفكر و التعبير عنه لجريمة بشعة اخترعها البشر

لتأثيرها القوي على حياتهم.

أود أن أحمل هذا القلم وزملائي إلى من قيدت يداه ومنع من متعة الإمساك به والتخطيط به

ترى هل يوصل أفكاره شفهيًا أم سيحاكمون لسانه ؟ لم تقف أية حبة تراب على لسان أي شخص لأنه دائمًا مبلل بكل سيئات الإنسان وحسناته... ذلك الجزء الذي لا يتحلل سريعًا عند الموت. أيقبضون على اللسان أيضًا ؟ أيأتي يوما لنرى الألسنة فى زنازين ؟ لا شيء غريب أو بعيد في عالم البشر....

-٢١-

لابد أن هناك زلزالاً...

العديد من الجروح و الاهتزازات حدثت ووقع العديد منا نحن-حبات التراب-على بعضهم البعض وكثرت الحوادث....

ماهذا ؟ماذا يحدث يا إخواني؟

لقد كنا نعيش في سلام وهدوء وأمان على ظهر أحدهم منذ آلاف السنين. كنا نجتمع دائمًا هنا ...

هنا كان مكان مصيفنا ...

كنا نتزاحم هنا لنرتاح قليلاً هنا بدون إزعاج البشر ...

مكان اجتماعنا المفضل على رأسه وكثير من أجزاء جسده.

وكان مستسلمًا دائمًا لنا...

كان آمنا يعيش ويتعايش مع الظروف التي تقدم له وكثيرًا ما يأتي البشر لشحذ همه وإزالة بعض منا حتى يستطيع القيام ولكنه يأبى . يريد الاستقرار و الأمن و الأمان والسلام...

كان يعيش في هدوء وراحة وإن حدثت مشكلة لجأ إلى الله ولجأ إلى الحيلة حتى يأتي الله بأمر كان مفعولا .

كان يتقي شر من يتغطرس عليه ويستعبده فيصمت ...

كان ينتظر القدر ويؤمن بقدرته اللامحدودة ولا يؤمن بقدرته هو ....

كان يعلم من داخله أن سنة الحياة أن يكون هو على تلك الشاكلة ، كان عميق الإيمان بالله وبأن الله سبحانه خلقه للعبادة أما السعي فلن يأتي بشيء "حتى لو جري جري الوحوش" بل يعتقد أن كل أفعالنا مقدرة سلفًا ولا داعي لمعاندة الواقع...

قرونا عديدة وسنووووون عدة تمر وهو على هذا الإيمان الذي لم يفقده أبدًا وكلما سمع أفكارًا خلاف مايؤمن يستغفر الله ويظل ساكنًا كما نحن عليه ساكنين وشاعرين بروح الأمان التي تسكنه.

حتى جاء اليوم... استيقظت الشمس على صراخنا وسمعت الطبيعة ما نحن فيه من انتفاضة.

لقد انتفض المارد وثار وصرخ"لاااااااااااااااااااااا" كان يقولها ويرددها بلذة وغضب متراكم لديه كتراكمنا نحن عليه.

صاح ولم يصمت،تكلم وتكلم ولم نفقه قوله لانشغالنا بفوضتنا وتهدم منازلنا ...

ثار الساكن الآمن على كل ماحوله ومن حوله،وهاج

ليفتح هويسًا من غضب السنين الطويلة وسكون القرون والصمت" الملعون" كما أسماه.

كان يلعن كل ما سبق، كل ما فكر واعتقد.

يلعن السلبية التي كانت و يمجد الإيجابية التي صارت.

راح يجري يمينًا وشمالاً كالذي تعلم السير حالاً،يلقي ما تبقى منا عليه. ينفضنا من فوقه كالمذعور وكأنه كان ميتًا واستيقظ.

قاومنا كثيرًا وانتفض علينا وأزالنا وها هو يحاول محونا بالكامل،رغم تكاثرنا عليه لقرون حتى كدنا نبني مدينة عليه.......مدينة من أوهامه ومبادئه و مفاهيمه وإيمانه.

لكنه أبي ورفض وشرع يبني مدينته بنفسه بروح جديدة ومباديء جديدة غير التي كانت تسكنه لسنين وقرون وعهود .

هدم كل ما بنيناه فوقه وعششنا التي نمت علي طحالب سكونه وهدوئه وحذره أو لنقل خوفه الشديد وهلاوس أن التجديد والتغيير عصيان وابتداع.

في كل عش كان الرضا ضيفًا مستقرًا بمدينتنا،لكنه هدمه...

لماذا لم يرض ؟ لماذا رفض كل هذا ؟ لماذا انتفض؟

لا نعلم...سمعناه يصيح:

" لقد كنت في الظلام ولابد لي من نور يأتي،قلت إنه لن يأتي إلا إذا جلبته بيدي"

نعم بيدي....

وصار يردد:

بيدي

بيدي

بيدي...

النهاية

جاء طوفان شديد ..

لم نحتمله جميعًا ، مات من مات وفقد من فقد ....

كارثة ألحقت بنا من كل اتجاه و افترقت جماعات وأسر وعوائل كاملة عن بعضها البعض

في الطوفان القادم والتيار الأخير...

الغالبية العظمى لم تكن تتوقعه ولكنني شخصيًا توقعته ...

حينما تكاثرنا وازدحمنا وكثرت مفاسد البشر وأينعت الشرور شعرت بأن الطوفان قادم لا محالة.....

ولا أنكر أنني كثيرًا استبعدت أن يحدث طوفان وأن الطوفان الحقيقي إلهي و قادم في وقت يعلمه الله فقط إنما هي مسألة وقت فقط وحتما سيرى البشر مالم يخطر على بالهم بعد أن أراهم الله علامات وإنذارات وإشارات تنبيء بالطوفان القادم ...

لم أتوقع أن يأتي الطوفان ويسببه الله على يد أحد من عباده كما صار يردد ويصيح "بيدي" ...

سأتواري حاليا قرائي الأعزاء بعد تلك المغامرات ولن أتخلى عنكم وعن مشاهدتكم وإنما فقط سأستكين الآن.. ...

سأمكث في اعتكاف اعتكاف نسميه أنا وأقراني من حيات التراب " اعتكاف الحكمة " كما يفعل بعض البشر حيث نعتكف في قبور

بني البشر للحظات نتعبد للخالق الواحد الأحد و نتأمل حكم الله و دروسه اللامنتهية في دنيانا..

ربما أعود مرة أخرى ..

أتركك إلى لقاء...

